مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

١٥١

شعبان سنة ١٣٧٥

فضيلة شيخ معهد قنا الديني والسيد مدير ـ وبعض كبار الحاضرين
في حفل استقبال فريق الحرس الوطني بالأزهر

مكتبتنا العربية

الاسراء.. والمعراج

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » . وقال عز وجل : « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد » .

هذا هو القرآن الكريم ، كما وصفه الله رب العالمين ، هدى ونور ، وشفاء لما فى الصدور ، آيات محكمة ، ودلائل مفصلة ، وهدايات عظيمة ، ينتفع بها أهل الفطر السليمة ، والمستعدون لقبول الحق ، الذين لا يمارون فيه ولا يجادلون .

أما المعوجون أهل العناد والمكابرة ، فلا يزدادون بعنادهم ومكابرتهم القرآن إلا زيغا إلى زيغهم ، وضلالا فوق ضلالهم .

هذا القرآن الكريم ، قد أنزل الله من آياته البينات ، آية تحدث فى وضوح وجلاء ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أسرى به فى ليلة واحدة ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ليريه الله من بديع آياته ، وليظهره على عجائب ملكه وملكوته .

فليس من الإيمان إنكار ذلك ، أو المماراة فيه . قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

مكتبتنا العربية

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق الأمين ـ قد حدث صبيحة الليلة التي كان فيها الإسراء ، أنه أسرى به في تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ، وأنه قد عاد من ليلته إلى مكة . وأن أول من حدثهم بذلك أم هانئ بنت عمه أبي طالب ، فعجبت لهذا الأمر العظيم ، ونصحت له ألا يحدث به الأقوام من كفار قريش حتى لا يكذبوه ، لكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يستمع لها ، وخرج إلى المسجد ، وجلس إلى جوار الكعبة ، فمر به أبو جهل ، وهو ممعن في تفكيره ، فقال له : هل من خبر ؟ قال : نعم ، فقال : وما هو ؟ فقال : إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس . قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم ، قال أبو جهل : أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتني به ؟ قال : نعم . فنادى أبو جهل : هيا معشر قريش ، فاجتمعوا من أنديتهم ، فقال للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أخبر قومك بما أخبرتني به ، فقص عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قد ذهب إلى بيت المقدس تلك الليلة وصلى فيه ، فأخذوا يصفرون ويصفقون ، تكذيبا له ، واستبعادا لخبره .

* * *

وانتشر خبر ذلك في مكة ، وذهب الناس إلى أبي بكر يخبرونه أن محمدا يقول : إنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في ليلة ، فقال لهم : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : والله إنه ليقوله ، فقال : إن كان قد قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إني أصدقه على أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة . ثم جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحوله مشركو قريش يسألونه ويستنعتونه صفات بيت المقدس وأحواله ، وكان فيهم من رأى بيت المقدس من قبل ، وعرف شيئا من معالمه وصفاته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس علي بعض الشيء ، فجلى الله لي بيت المقدس ، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب . ثم قالوا : أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا ، هل لقيت منها شيئا ؟ قال : نعم ، مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء ، وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه ، وفي رحالهم قدح من ماء ، فعطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان ، فاسألوا : هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا ، قالوا : هذه آية . قال : ومررت بعير بني فلان ، وفلان وفلان راكبان قعودا ، فنفر بعيرهما مني فانكسر ، فاسألوهما عن ذلك ، قالوا : هذه آية أخرى ، ثم سألوه

مكتبتنا العربية

عن العدة والأحمال والهيئات، فمثلت له العير، فأخبرهم عن كل ذلك، وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق، عليه غرارتان مخيطتان، قالوا: وهذه آية أخرى. فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه، إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: هذه العير قد أقبلت، يقدمها بعير أورق، فيها فلان وفلان كما قال. لكنهم لم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين.

* * *

هذه بعض تفاصيل لواقعة الإسراء التي حدث عنها القرآن، وأخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام، قد حفظها الثقات الأثبات من المؤرخين ورواة الحديث والمفسرين، وهي - من حيث مايجب توافره لإثبات الوقائع التاريخية - قد توافر لها ما يثبت - إثباتا لا مرية فيه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أسري به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عاد إلى مكة في ليلة واحدة.

ولكن كيف كان هذا الإسراء؟ هل كان في اليقظة سيرا حقيقيا، وحركة مادية، وانتقالا جسمانيا، رأى فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أراه الله من الآيات الكونية، بالمشاهدة العينية، والرؤية البصرية؟ أو كان رؤيا منامية، كشف الله له فيها عن معالم ومشاهد في بيت المقدس والمسجد الأقصى وفي الطريق إليهما، على نحو مايرى النائم - في كثير من الأحيان - أنه سافر إلى جهة من الجهات البعيدة النائية عن موطنه، يكشف له فيها عن معالم ومشاهد هي من الحقائق الثابتة فيها؟. هذا هو الذي نعرض له الآن.

إسراء الرسول في اليقظة بالروح والجسم معاً

يدل على أن الإسراء كان في اليقظة بالجسم والروح معا جملة أمور نقتصر هنا على أهمها:

أولا - قول الله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» فانه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان بجسمه وروحه جميعا، وأنه كان سيرا حقيقيا، وانتقالا بحركة مادية: وذلك أن الإسراء كالسرى، معناه في اللغة السير ليلا، والسير حقيقة في الحركة المادية التي ينتقل بها الإنسان من مكان

إلى مكان ، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثا عن رؤيا منامية ، لكان يسيرا على القرآن أن يقول : سبحان الذى أرى عبده فى المنام كيت وكيت .

هذا إلى أن الآية الكريمة ـ كما هو واضح منها ـ فيها تنويه بشأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإشعار برفعته وسمو مكانته ، وتنويه بشأن ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم . وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئا مما لا يجرى على أيدى الناس ولا يعهدونه . لا بد أن يكون شيئا يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذى لا يكون إلا فى المقامات الجليلة ، والآيات العظيمة ، والأمور الهائلة العجيبة . وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية ، ومجرد انكشاف روحى ، وإنما كان سيرا حقيقيا ، بالروح والجسم معا .

ثانيا — انه لو كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئا غريبا ، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة ، ولا ما يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية ، كالذى كان من أبى جهل ومشركى مكة ، حينما سمعوا من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديث هذا الإسراء .

إن كثيرا من الناس يرى فى منامه عظائم وأعاجيب ، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها ، ولم يرها قط فى حياته رأى العين ، ولكن حين يُقص قصصُها ويُحدث عنها ، وحين يُعلم أنها إنما كانت رؤيا فى المنام ، لا يرى فى ذلك ما يوجب الدهشة ، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء .

* * *

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين ، أن الإسراء بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة إلى بيت المقدس ، كان سيرا حقيقيا ماديا فى اليقظة ، بروحه وجسمه جميعا . ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك ، إلا ما روى برواية ضعيفة عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت فى شأن هذا الإسراء : « ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وفى رواية أخرى ليست أقل ضعفا من هذه أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » بالبناء للمجهول .

وقد أخذ من هاتين الروايتين على ضعفهما أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان فى حالة اليقظة ، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية ، وهو ما كان يذهب إليه معاوية بن أبى سفيان ، على ما روى عنه .

مكتبتنا العربية

الإسراء . والمعراج

لكن الصحيح المحفوظ فى النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول فى مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة ، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا .

وفى الحق أن العبارة التى رويت عن السيدة عائشة فى الرواية الأولى تحمل بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها [١] .

وذلك أن هذه العبارة : « مافقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجا للرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ ، وأنها كانت معه فى الليلة التى كان فيها الإسراء ، وأنه عليه الصلاة والسلام لم يبرح المكان الذى كانا فيه فى تلك الليلة .

وهذا شىء لا يستقيم بحال ، ولا يصح قبوله ، فانها رضى الله عنها لم تكن زوجا للرسول حينئذ ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف فى تلك الليلة ؟ ! !

إن فى هذه العبارة خطأ واضحا ، ولا بد أن تكون محرفة عما ورد فى الرواية الأخرى الضعيفة أيضا من أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » بالبناء للمجهول . وإذاً تكون مقالتها هذه تحديثا ترويه عن شخص آخر يقول : إنه لم يفقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وراوية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله ، ولم تثبت ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام فى ليلة الإسراء ، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات ، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم ، المسمين بأسمائهم ، من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل بشخصه ، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، على دابة تسمى البراق ، وأنه صحبته ملائكة الله فى سيره ، كما حدث بذلك عليه الصلاة والسلام ، حتى بلغوا المسجد فى بيت المقدس .

هذا فضلا عما أشرنا إليه من أن العلماء أهل الشأن فى روايات الأحاديث ونقدها ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها

---

[١] الأمر فى تضعيف هاتين الروايتين هو من ناحيتى السند والمتن ، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التى نظروا فيها وأثبتوا عدم صحتها فى الناحيتين جميعا . فهم لم يقتصروا فى نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المفترين عما جاراهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين .

مكتبتنا العربية

من العبارتين السابقتين ، كما أثبتوا أن الصحيح المحفوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه فى موضوع الإسراء ، من أنه كان بالروح والجسد جميعا .

أفهام ومزاعم لا تخلو من شغب وتخليط

إن بعض الكاتبين المحدثين ـ ولا سيما أولئك الذين لا يميلون إلى التسليم بما استفاض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخوارق العادات ، التى لم يكن فيها بدع من الرسل قبله ـ قد اغتروا بالرواية التى وردت فيها عبارة « ما فقدت جسد رسول الله » أو « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقالوا : إن الإسراء لم يكن سيرا حقيقيا فى اليقظة ، وإنما كان رؤيا منامية ، سبحت فيها روحه عليه الصلاة والسلام ، وكشف الله لها ما تحدث عنه من آيات الله ، وزعموا أن هذا هو ما يدل عليه أيضا قوله تعالى : «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ؛ فان الأصل فى الرؤيا ـ بغير تاء ـ أنها هى التى تكون فى النوم ؛ أما التى تكون بالعين فى اليقظة فهى الرؤية ، بثبوت التاء .

ولكن هذا الزعم ضعيف غاية الضعف ، بل هو فاسد ساقط ، لا يعبأ به ولا يعول عليه . والاستدلال بهذه الآية فى موضوع الإسراء ، هو من الشغب الباطل ، والجدال بغير الحق ، وهو أيضا ضرب من فساد المحاولات ، والتخليط فى الآيات :

أما ان ذلك شغب وجدال بغير حق ، فلأن الآية نفسها تنادى ببطلان التعلق بها على الوجه الذى يريده هؤلاء ، فانها تقرر أن تلك الرؤيا المنامية كانت فتنة للناس ، فأى فتنة فى رؤيا منامية يحدث صاحبها أنه رأى فيها أنه ذهب إلى بلدة قريبة أو بعيدة ، وأنه رأى بعض هياكلها ومشاهدها ومعالمها ، وأشياء عرضت له أو كشفها فى طريقه إليها ؟ هل فى ذلك ما يفتن أحدا من المؤمنين أو المشركين ؟

إن كثيرا من الناس قد يرى فى منامه أنه ذهب إلى جهات بعيدة ، وبلادا نائية ، أشد بعدا مما بين مكة وبيت المقدس ، ثم لا يكون فى ذلك عجب ولا غرابة ، ولا شىء يوجب الاضطراب أو يوقع فى الفتنة .

وأما ان ذلك ضرب من فساد المحاولات والتخليط فى الآيات ، فلأن هذه الآية : «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ـ على ما اعتمده أئمة التفسير ـ ليست واردة

مكتبتنا العربية

الإسراء . . والمعراج

فى شأن حادثة الإسراء، وإنما هى تحديث عن الرؤيا المنامية التى رآها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبيل واقعة الحديبية، وهى التى أشار إليها القرآن فى قول الله تعالى: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون» فهى رؤيا منامية حقا، رأى فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه وجماعة المؤمنين قد دخلوا مكة على الحال التى بينها الله فى هذه الآية .

فلما قص الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الرؤيا على أصحابه، علموا أن الله سيفتح عليهم مكة، يدخلونها آمنين مطمئنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لايخافون، وظنوا أن ذلك سيكون قريبا جدا، وفى السنة نفسها التى رأى فيها هذه الرؤيا، ثم قوى هذا الظن عندهم لما نهض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد السير إلى مكة معتمرا، ومعه نحو ألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، حتى إذا كانوا عند قرية الحديبية، وصدهم المشركون عن دخول مكة، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على أن يعدل بأصحابه إلى المدينة ذلك العام، أصاب الناس من ذلك بلاء وغم شديد، وتزلزلوا لذلك واضطربوا، واشتد الأمر على عمر حتى قال مقالته المشهورة : ألست رسول الله ؟ أو لسنا على الحق ؟ أو ليسوا على الباطل؟ فلماذا إذاً نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ؟ .

وهذا كان من كمال غيرته الدينية، وشدة حنقه على إبرام صلح يحول بينهم وبين دخول مكة فى ذلك العام .

أما عبد الله بن أبى ومن كان معه من المنافقين فقد انتهزوها فرصة للسخرية والتهكم، لعدم تحقق الرؤيا، وقالوا: والله ماحلقنا، ولا قصرنا، ولارأينا المسجد الحرام .

هذه هى الرؤيا المنامية التى جعلها الله فتنة للناس، وامتحانا لهم، جعلها تمحيصا للمؤمنين، وتمييزا بينهم وبين المنافقين .

وإذا كانت هذه الرؤيا لم تتحقق ـ على ما كان يظن الناس ويؤملون أن تتحقق ـ فى سنة الحديبية التى قصد فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى مكة، فذلك ليس تخلفا ولا إخلافا لوعد الله، الذى وعده رسوله فى رؤياه . وهو أيضا لايوجب اليأس من تحقق تلك الرؤيا فى الميعاد الذى أراده الله. وقد تحقق وعد الله، ففتح عليهم مكة ودخلوها آمنين مطمئنين. وهذا هو الفتح المبين . أتمه الله عليهم بعد ما حقق لهم بين يديه فتحا قريبا، هو

مكتبتنا العربية

صلح الحديبية نفسه أو فتح خيبر . جعل الله هذا أو ذاك أو كليهما فتحا ونصرا ، ومقدمة للفتح الأكبر ، كما قال تعالى : « فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

هكذا يقول فريق من أعلام المفسرين فى تفسير الرؤيا التى جعلت فتنة للناس .

ويقول فريق آخر : إن المراد بها مارآه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى منامه قبل التحام الجيوش فى موقعة بدر ، التى انهزم فيها المشركون شر هزيمة ، فقد أراه الله فى منامه أن صناديد قريش وزعماءها سيهلكون فى هذه الموقعة ، وكشف له عن مصارعهم ، فلما كان قبل بدء المعركة وقبل أن يلتقى الجمعان ، نزل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه إلى ساحة القتال ، ليرتب جيشه وينظم وحداته ، وينصح لهم ويعضدهم ويقوى أمرهم ، وجعل يخط برمحه فى عدة مواضع من الساحة ويقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ـ لأشخاص بأعيانهم من زعماء قريش ـ قد أريت مصارعهم ؛ فسرى حديث هذه الرؤيا إلى مقر المشركين ، وتسامع به أفراد منهم ، فسخروا منها ، واستهزءوا بها ، معتزين بقوتهم ، وعدتهم ، وكثرة عددهم ، فكانت تلك الرؤيا فتنة لهم ، وكان استهزاؤهم بها وبالا عليهم ، ثم كانت نكبتهم فى هذه الموقعة مضرب الأمثال فى الخزى وعار الهزيمة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومجمل القول أن رؤيا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى التى قال الله فيها : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » ليست فى الإسراء ، ولا علاقة لها به ، حتى يقال : إن الإسراء كان رؤيا منامية ، اعتمادا على تلك الآية .

وقد يقال : إنه إذا لم يستقم حمل الإسراء على مايكون فى الرؤيا المنامية ، للأسباب التى أشير إليها ، فذلك لا يقتضى حتما أن يحكم بأنه كان فى اليقظة بالجسم والروح معا ، فانه يمكن أن يقال : إنه كان فى اليقظة بالروح وحدها ، وإن الله قد مكن لها أن تسبح فى الفضاء ، وتقطع المسافات الشاسعة بين مكة وبيت المقدس ، فى ساعات أو لحظات قليلة من الليل ، فترى من آيات الله العظيمة ما أراد الله اطلاعها عليه ، وما حدث الرسول صلى الله عليه وسلم القوم ببعضه ، فأثار عجبهم ودهشتهم وإنكارهم .

قد يقال هذا ، بل قد مال إليه بعض الكاتبين وخصوصا أولئك الذين لايودون التسليم بوقوع خوارق العادات من الأنبياء والمرسلين . ولعلهم اختاروه رغبة

مكتبتنا العربية

الإسراء . . والمعراج

فى التوسط بين الأمرين : الإسراء الحقيقى فى اليقظة بالجسم والروح جميعا ، والإسراء المجازى بطريق الرؤيا فى النوم ، لعلهم اختاروه رغبة فى ذلك ، وتمشيا مع تلك الرواية التى جاء فيها أن جسم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفتقد فى تلك الليلة .

ولكن هذا القول مردود بأن حمل الإسراء على ذلك المعنى لا يخرج عن كونه تأويلا وحملا للفظ على غير معناه، من غير موجب ولا بينة . ثم إن الذهاب بالروح والكشف لها عن المشاهد والمعالم التى تكون بعيدة عن مقر جسمها هو نظير الإلهام والإلقاء فى الروع ، ومن قبيل ما يجده كثير من أصفياء النفوس مما تنكشف لهم به كائنات واقعة أو حوادث مستقبلة ، ومثل هذا لا يكون من الغرابة فى المنزلة التى تدعو القوم إلى الإنكار والتهكم والسخرية ، حتى يقول بعضهم لبعض : اسمعوا . . اسمعوا . . إن محمدا يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد من ليلته ، مسافة لا يقطعها الراكب فى أقل من ثلاثين أو أربعين ليلة .

هل هذا مما يصلح أن يكون ردا على من يدعى أنه قد كشفت لروحه معالم فى بيت المقدس ، وأن روحه قد أطلعها الله فى حال يقظته على ما يمكن أن يطلع عليه النائم فى رؤيا نومه ؟ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنه ليس بين هذين الحالين كبير فرق ، وليس فى شىء منهما ما يدعو إلى الاستنكار والاستهزاء، وإذا لامناص من التسليم بأن الإسراء كان فى حال اليقظة بالروح والجسم جميعا .

وهذا هو ماتفيده الآية الأولى من سورة الإسراء، ويدل عليه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حدث به الأقوام مؤمنين ومشركين ، وهو ماحفظه التاريخ، وأثبته رواة الحديث وحفاظه جيلا عن جيل ، سجلته كتب السيرة وجوامع الأحاديث الصحيحة .

قد اتفق عليه المسلمون منذ اليوم الذى حدث فيه عن هذا الإسراء ، ولم يرو فيه خلاف يعول عليه .

حقيقة قد وقع خلاف بين العلماء فى موضوع الإسراء ، ولكن من وجوه أخرى :

اختلف فى زمانه : هل كان قبل الهجرة بسنة واحدة ، أو بسنة وبضعة أشهر ، أو قبلها بأكثر من ذلك ؟ .

مجلة الأزهر

وفى أى شهر كان ؟ هل كان فى شهر ربيع الأول ؟ فى شهر رجب ؟ فى ذى القعدة ؟ فى ذى الحجة ؟

واختلف فى مكانه : أى فى الموضع الذى بدئ منه الإسراء :

هل كان من شعب أبى طالب ؟ أو من بيت ابنته أم هانئ ؟ أو من المسجد الحرام نفسه من حجر إسماعيل فى جوار الكعبة ؟

ونحن نرى أن الاختلاف فى المكان ليس اختلافا حقيقيا ، وليس بين الروايات الثلاث فيه تناقض أو تعارض، فانه يمكن أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة الإسراء قد كان فى شعب أبى طالب ، وفى بيت أم هانئ ، ثم ابتدأ السير من المسجد حيث كان فى حجر إسماعيل .

إنما الخلاف الحقيقى هو الذى وقع فى زمان الإسراء ، وقد رجح العلماء فيه بعض تلك الروايات ، وأنه كان فى شهر رجب قبل الهجرة بسنة و بضعة أشهر ، تاريخ فرضية الصلوات الخمس .

وهذا الاختلاف فى زمن الإسراء: « يومه، وشهره ، وسنته » لا ينبغى أن يكون له أى تأثير يمكن أن يشكك فى ثبوته ، وفى أنه حقيقة وقعت فعلا ، فانه اختلاف عادى يقع مثله كثيرا فى تواريخ الأحداث الكونية ، وفى تحديد الوقائع وأعمال الناس اليومية ، ولا سيما إذا لم تكن هنالك سجلات كتابية ، يعنى فيها بتدوين تلك الحوادث والوقائع والأعمال .

ونظن أن كثيرا من الناس اليوم لا يستطيع أن يحدد من ذاكرته الأيام أو الأشهر التى قامت فيها ثورات الشعب على الاحتلال فى سنة ١٩١٩ أو فى سنة ١٩٢١ م .

ونظن أن كثيرا من الناس كذلك لا يطمئن إلى ذاكرته ، إذا أراد أن يعين اليوم الذى قامت فيه الثورة الحاضرة : ثورة سنة ١٩٥٢ : هل كان يوم جمعة، أو يوم خميس، أو يوم ثلاثاء أو أربعاء ؟ .

وكم من الناس يذكر اليوم أو الشهر أو السنة التى تقلد فيها الشيخ محمد عبده منصب الإفتاء ؟ أو السنة التى مات فيها الشيخ عبد الله الشرقاوى ، أو الشيخ الخرشى ، أو الشيخ جمال الدين الأفغانى ؟

مكتبتنا العربية

الإسراء .. والمعراج

بل هل يستطيع كثير من المثقفين الذين حصلوا على شهادات دراسية، أن يعينوا الشهر أو اليوم الذى أعلنت فيه نتيجة امتحاناتهم أنفسهم ، فى الشهادات الابتدائية أو الثانوية أو العالية أو ما بعدها ؟ .

هل من اليسير أن يعتمد الناس على ذاكرتهم فى تعيين هذه الأحداث وأشباهها ، فيتفقوا جميعا على تواريخ معينة لها ؟ هذا مالا يمكن أن يكون .

إنه لا بد أن يقع الاختلاف فيها وفى تحديد أزمنتها : أيامها، وأشهرها، وسنيها ، على نحو الاختلاف الذى وقع فى تحديد زمن الإسراء وأشد مما وقع فيه .

هذه اختلافات طبيعية وعادية من غير شك . فهل الاختلاف فى تعيين التاريخ الذى حدث فيه شأن من هذه الشئون ينبغى أو يصح أن يجر إلى إنكار حدوثه من أصله ؟ وهل إذا اختلفنا الآن فى تعيين اليوم الذى افتتح فيه حديثا الطريق الجديد على شاطئ النيل فى مدينة القاهرة ، كان ذلك مسوغا لأحد منا أو ممن يجىء بعدنا أن ينكر أصل إنشاء هذا الطريق ، مهما تغيرت المعالم ، وتتابعت الأحداث ؟

إذاً اختلاف المسلمين فى تعيين زمن الإسراء ليس معناه الاختلاف فى أصل حدوثه، ولا ينبغى أن يؤدى بالعاقل المنصف إلى إنكار وقوعه .

إن اختلافات كثيرة نشأت حول السيد المسيح عيسى عليه السلام ، وما كان من عجائب حمله ، وميلاده ، ونشأته، ومدة بقائه على وجه الأرض، وما وقع منه من الكلام فى المهد ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وما إلى ذلك من الخوارق التى لا يعترف بها العلماء الماديون ، ولا تخضع لمقرراتهم فى المادة وخصائصها ، بل هى من شأن الله وحده، خاضعة لمحض قدرته، واقعة فى قبضة سلطانه على المادة وعلى كل شىء .

هذه الاختلافات التى وقعت حول السيد المسيح لا ينبغى أن تجر إلى الشك فى وجوده ، أو ادعاء أنه شخصية خرافية ، كما فعل بعض المخرفين المتهوسين ، ممن يزعمون أنهم من العلماء الأحرار فى البحث والتفكير .

إن الذين أنكروا وقوع الإسراء ممن كانوا فى زمن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما

مكتبتنا العربية

هم المشركون المعاندون الذين لا يؤمنون بحق ، ولا يخضعون لحجة ولا بينة ، والذين كانوا محسوبين فى عداد المؤمنين ، ممن لم تتشبع قلوبهم بخالص الإيمان ، وصدق اليقين .

فانكار هؤلاء وهؤلاء لحادث الإسراء ـ بعد ما أراهم النبي صلى الله عليه وسلم فيه الآيات البينات ـ ليس إلا من قبيل كفرهم وجحودهم بكل ما أتاهم به من الحق ، والجاحد المكابر لا سبيل إلى إقناعه ، ولا حاجة لأحد فى إقناعه ، ما دام لا يريد أن يسمع أو يفكر ، أو يسلم بنتائج تقضى بها المقدمات .

« أمران مهمان »

نود هنا أن نقف قليلا من حادثة الإسراء عند أمرين جديرين بالنظر والاعتبار :

« الأول » ما كان من المشركين من اللجاجة فى الجدال ، والإلحاف فى السؤال : عن العير وعدتها وأحمالها ، وعن صفات بيت المقدس ، دقيقها وجليلها ، خفيها وجليها ، وما تحمله تلك الأسئلة من روح التعنت ، والنية الخبيثة ، والقصد السيئ الملح الذى استولى على أصحابه ، فدفعهم إلى الحملة والإسراف فى الأسئلة بطلب المعقول وغير المعقول ، وليس من بينهم رجل معتدل منصف ، يفرق بين سؤال طبيعى يقع موقعه ، وتحسن الإجابة عنه ، وسؤال آخر يجب أن يهمل ، ويرد فى وجه صاحبه .

إن تلك الأسئلة التى أجهد بها أصحابها أنفسهم لم تكن أسئلة إنصاف ومنطق عاقل ، يقصد بها تعرف الحقيقة ، والوقوف على مبلغ صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخبرهم به من أمر الإسراء . وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة ، يراد بها إظهار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمظهر العاجز عن إجابتهم الى بعض ما سألوا ، ليكذبوه فيما أخبر به .

فهل فى منطق العقل والعدل يتوقف صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخبر به من الذهاب إلى بيت المقدس فى تلك الليلة ، على أن يعلم تفاصيل بيت المقدس ، وجميع صفاته وأحواله ، ويحيط بما احتواه المسجد الأقصى من مشاهد ومعالم ، ويعلم أيضا على وجه التفصيل حال عيرهم ، وأحمالها وأقتابها ، وعددها وعدتها ؟

إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذهابه إلى بيت المقدس لم يكن همه أن يدرس مبنى المسجد الأقصى دراسة هندسية تفصيلية ، ويحصى عدة ما فيه من أبواب وعمد ونوافذ ، ويعرف مواقعها واتجاهاتها ، ومسافات ما بينها ، ولم يكن ـ وهو فى طريقه إلى بيت

مكتبتنا العربية

الإسراء . . والمعراج

المقدس أوفى عودته منه ـ بسبيل أن يرصد عير قريش ، فيعرف عددها وعدد أصحابها ، ويقف على أحمالها وألوانها ، ويتبين منها الأورق والأصفر والأسود ، حتى يصح أن يسرفوا فى سؤاله عن ذلك كله ، فيكذبوه إذا لم يجب عنه أو عن بعضه .

إن كثيرا من الناس قد رأى الجامع الأزهر ودخله عشرات المرات ، بل إن كثيرا من الناس قد قضى فى الأزهر دهرا طويلا من عمره ، ومنهم من عاش حياته فى مقاصيره وأروقته ، فهل من اليسير على أحد من هؤلاء أن يجيب إجابة صادقة واعية عما يسأل عنه من تفاصيل ما احتواه هذا المسجد ، وعدد أعمدته ، وأبوابه ونوافذه ، وارتفاعاتها وألوانها ، والمسافات التى بينها ؟ وهل إذا عُصبت عينا أحد الجالسين فى هذا المسجد عند المنبر ، أوطلب إليه أن يغمض عينيه ، فيسأل عن لون هذا المنبر ، وهل هو لون ماطليت به الأعمدة والأسقف ، أو هو لون يغاير ذلك ، يستطيع أن يجيب عن ذلك إجابة صحيحة مطمئنة ؟ وهل يستطيع أحد وهو خارج هذا المسجد أن يعين شكل أعمدته ؟ وهل هى جميعها مستديرة ، أو منها مربعة الأضلاع ، أو ما هو على شكل مثمن ؟ .

وإذا عجز أحد من هؤلاء عن الإجابة عن هذه الأسئلة أوعن بعضها ، فهل يمكن أن يقال : إنه لم ير الأزهر قط ، وإنه كاذب إذا ادعى أنه من الملازمين له أو العاكفين فيه ؟ .

إن كل الأسئلة التى أشرنا إلى نماذج منها هى من قبيل ما كان يوجه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ما أخبر قومه بخبر الإسراء ، فماذا كان ينتظر من هؤلاء القوم المسرفين فى عنادهم ، لو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عجز عن إجابتهم عن بعض ماسألوا ؟ .

إن هؤلاء المشركين ـ فى تظاهرهم عليه ، وحملتهم بأسئلة التعنت التى كانوا يوجهونها إليه ـ لم يكن ليردهم شىء عن تكذيبه والتشنيع عليه والتشهير بموقفه ، إذا هو عجز أو توقف عن إجابتهم عن شىء مما سألوا ، وإن كان العجز فى مثل تلك الأسئلة حتما وطبيعيا كما ضربنا له الأمثال .

لكن الله العلى القدير أراد ألا يمكنهم أن يصلوا إلى غايتهم من تلك الحملة ، وذلك التظاهر الفاجر ، فأدرك نبيه الصادق الأمين بما كبت به القوم ، ورد به تعنتهم وتهكمهم إبلاسا فى نفوسهم ، واندحارا فى قلوبهم ، وخزيا فى جباههم ، يطالع به بعضهم بعضا ، كما كان يميل بعضهم إلى بعض أول الأمر بالسخرية والاستهزاء .

مكتبتنا العربية

كشف الله لرسوله عن المواقع والمعالم ، لما التبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه ، وجلى له بيت المقدس ، حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل ، بفعل ينعته لهم ، و يستملى إجاباته من مشاهداته ، يسددها طعنات فى صدورهم ، وغما وكمدا فى أفئدتهم ، وأظهره الله عليهم ، والله غالب على أمره ، وهو القوى العزيز .

«الأمر الثانى» أن بعض الناس قد حاول ـ بحسن نية ـ أن يقرب إلى الأذهان مسألة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ، بتلك السرعة الخاطفة التى لم يعهدها أحد ، فقال : إن الإسراء بتلك السرعة بين هاتين البلدتين المتباعدتين ، وقطع المسافة بينهما فى فترة قصيرة جدا ، إذا كان عجيبا غريبا قبل أن تستخدم قوة البخار وقبل أن تستحدث الطائرات العادية والطائرات النفاثة ، فانه يجب أن يعتقد وأن يسلم به من غير تردد بعد ظهور تلك المخترعات وتلك المستحدثات ، فان المسافات البعيدة التى يحتاج فى قطعها راكب البعير أو الفرس إلى ثلاثين وأربعين يوما يمكن أن تقطعها الطائرات فى بضع ساعات .

يريد أصحاب هذه المحاولات حسنو النية بهذا التقريب ، أن يضعوا واقعة الإسراء فى المحل الذى لا غرابة فيه ، والذى يثبت التقدم العلمى وقوع نظائر له ومشابهات ، ليقنعوا بصحة ذلك الإسراء وإمكان حصوله أصحاب العلوم المادية ، الذين لا يسلمون إلا بما تلمسه أيديهم ، ويقع تحت أبصارهم ، ويخضع لتجاربهم وقوانين علومهم ، فى الحوادث والكائنات .

نية حسنة ، ومقاصد طيبة ، ولكنها تنطوى على شيء غير قليل من الغرارة وعدم التبصر ، فى مجاراة الماديين الذين لا يؤمنون بمعجزات ، فانه لا سبيل إلى التقريب أو الربط بين أمور هى من فعل الإنسان يقدر عليها بتفكيره واستنباطه ، ويتوصل إليها بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية ، ومعارف إنسانية ، وأمور أخرى لادخل لقدرة الإنسان فيها ، وإنما هو مظهر كونها ، ومحل جريانها ، يخلقها الله فيه ، ويجريها على يديه ، كما قال تعالى : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» فان رمية واحدة بقبضة من الرمل أو الحصباء يصيب بها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عيون فريق كبير من الأعداء فى غزوة بدر ، حتى يكون ذلك من أسباب هزيمتهم واندحار جموعهم ، ليس أمرا عاديا مما يكون فى طاقة الانسان ، وإنما هو فعل الله الخالق لكل شيء ، القادر على كل شيء ، القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

مكتبتنا العربية

الإسراء .. والمعراج

إنه مهما تقدمت العلوم، وارتقت الصناعات، وجد من المخترعات ما يبلغ فى غرابته وطرافته أضعاف أضعاف ما كشف عنه العلم الحديث الآن، فانه على كل حال يكون نوعا آخر غير نوع المعجزات التى يجريها الله على أيدى المختارين من رسله، فان هذه المعجزات ليست لها وسائل ومقدمات، ولا أسباب وأدوات، مما يدخل فى مقدور العباد.

أما المخترعات الإنسانية فانها لا بد أن تبنى على قواعد وقوانين علمية، ولا بد فيها من استخدام أجهزة وأدوات، يتوصل فيها بالتحليل والتركيب وإحكام الصنع إلى ما يراد تكوينه من مخترعات.

فالطيران فى السماء باستخدام الأجهزة والآلات البخارية وغيرها أمر بديع، وعمل إنسانى عجيب، ولكن له أسبابه ومقدماته العلمية التى يستطيع الطيران بها فى الجو كل من يعرفها، ويعرف طريقة استخدامها فى ذلك.

أما الطيران من غير تلك الأسباب والمقدمات، فليس فى مقدور أحد من الناس.

وعلى هذا الأساس يكون الفصل بين المعجزات وبين كل غريب عجيب من المبتكرات والمخترعات التى تبنى على قوانين علمية، وأفكار واستنباطات إنسانية.

* * *

أما بعد — فهذا أمر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قد اقتصر عليه الرسول — صلى الله عليه وسلم — حينما تحدث به إلى قريش عند الكعبة كما علمنا.

ولم يعرض عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحديث لأمر المعراج، وهو صعوده إلى السماء فى تلك الليلة التى كان فيها الإسراء.

والسر فى ذلك الاقتصار هو أن المعراج ما كان يمكن — فى أغلب الأمر — أن يصدق به رجل مشرك أو كافر لا يؤمن برسالة الرسول، ولا يذعن لما يذعن له المؤمنون من أن الرسل معصومون من الكذب والافتراء.

فالتحدث إلى أولئك المشركين عن المعراج لا تكون له حينئذ جدوى، ولا يفيد أية فائدة. بل قد يكون من نتائجه أن يزيدهم كفرا إلى كفرهم، وإمعانا فى شركهم.

فانه ليس لأمر المعراج شواهد ودلائل مادية، يمكن أن يدلى بها إليهم ، ليثبت لهم حقية ما يقول ، سواء آمنوا بعد ذلك أم لجوا فى العناد والإباء ، كما كان فى أمر الإسراء :

لكن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ تحدث فى غير ذلك الموطن عن المعراج : حدث به أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهده فى السموات من بديع الآيات ، وما تلقاه من الأمر الإلهى بفرض الصلوات الخمس اليومية .

* * *

هذا والقرآن الكريم قد اشتملت آيات منه فى سورة النجم على ما يثبت المعراج : ذلك قوله تعالى ـ فى الإخبار عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لسيد الملائكة جبريل عليه السلام : «ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

ومعنى هذا ـ كما يقول أئمة التفسير ـ أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ رأى جبريل مرة أخرى فى صورته الحقيقية الملكية فى السماء عند سدرة المنتهى ، بعد مرة أولى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبئ بذلك قوله تعالى : « مازاغ البصر وما طغى » ـ صدق الله العظيم .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ، والحمد لله رب العالمين ،

عبد الرحمن ناجى

شيخ الجامع الأزهر

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٤٠٠ مليم في وادي النيل
٥٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثامن ـ القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٥ ـ ١٣ مارس ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

تطور المجتمع المصري :

بين الأمس ، واليوم ، والغد . . .

كانت مرافق مصر ونشاطها الاقتصادي والتجاري — إلى عهد قريب — في أيدي الأجانب ، وكانت للأجانب امتيازات قضائية وسياسية فرضتها القوة على الضعف فزادتهم تمكينا في هذه المرافق ، ونشاطا في مصادر الحياة ، حتى لقد امتد نشاطهم إلى الأرض الزراعية ، وإلى الصناعات الزراعية ، فكانت شركة كوم امبو ـ مثلا ـ هي كل شيء في مقاطعة كوم امبو ، وكان مأمور المركز ـ المفروض فيه أنه يمثل وزارة الداخلية في ذلك الملك الواسع ـ كأنه ضيف أو موظف لدى شركة كوم امبو ، لا يتصرف في عمله إلا بما يوافق مصالحها ، وما ينال به عطفها ورضاءها ، فاذا لم يرض عنه رأس المال اليهودي في هذه الشركة ، كان عليه أن يزم حقائبه في اليوم التالي عائدا إلى القاهرة ، ليأتي منها إلى كوم امبو مأمور آخر أكثر منه لباقة في رعاية مصالح الشركة وتحرّي رضائها . . .

وكان مجلس الاسكندرية البلدي ليس له من بلديته إلا عنوانها ، وفيما عدا ذلك

مكتبتنا العربية

يكاد يكون مجلسا أجنبيا — بل مجلسا دوليا — يمثل بأعضائه وميوله ونزعته وتصرفاته جاليات الأمم الغربية من انجليز وفرنسيين و إيطاليين ، الى اليونانيين ومن هم أقل شأنا من اليونانيين . . .

هكذا كانت مصر من أعلاها فى كوم امبو ، إلى سيف البحر بالاسكندرية . فكان أهل البلد غرباء فى بلدهم ، و يزيدهم شعورا بهذه الغربة سيطرة الأجنبى على وزارة الداخلية وأقسام البوليس ، و إشراف المستشار البريطانى على وزارة المالية وما يلتف عليه ذلك الاخطبوط ، ثم تصرف القسيس البروتستانى دانلوب فى أداة التعليم وفى تكوين عقلية رجال المستقبل طبقة بعد طبقة ، وقيام جيش الاحتلال فى ثكنات قصر النيل ، ومنطقة القلعة ، وعلى ضفاف المعادى ، وفى كل مكان إلى الإسماعيلية وقاعدة القنال . . .

وكان نفر من الإقطاعيين والانتهازيين — مع العاطلين من سلالة محمد على — مستأثرين بأرض النيل يبتزون خيراتها ، و يبددونها هنا وهناك فيما لا خير فيه . . .

لقد كنت — مع لداتى من أبناء جيلى — شاهد عيان لتفاصيل ذلك فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولو شاء المؤرخ الثاقب النظر أن يسجل ذلك لألف فيه مجلدات حافلة بالحقائق المؤلمة التى كانت عقوبة لنا من الله على ما فرطنا فيه من أسباب القوة بمختلف ألوانها ، وفى طليعة ذلك أخلاقنا العربية وآدابنا الإسلامية .

إن هذا التيار المخيف من حضارة الغرب داهمنا على حين غفلة منا قبل نحو مائة وخمسين سنة ، وكانت لا تزال فينا بقية أخلاق إسلامية ، فكان علينا أن نسلحها من حضارة الغرب بما نحتاج إليه من علومها وصناعاتها ، وأن نتقى الله فى هذه الأمة فنجنبها كل ما يضعفها — فى أخلاقها وثروتها — من عبث ولهو و إسفاف . ولكن وقع عكس ذلك من عهد اسماعيل ، ومن قبل عهد اسماعيل ، فأخذنا من حضارة الغرب قشورها وهو بقاتها ، ودفعنا ثمن ذلك من أخلاقنا ودينا .

لما احتل الفرنسيون مصر كان لما تحمله سفن النيل إلى القاهرة من بلاد الوجه البحرى جمرك فى بولاق قال عنه أحد مهندسى الحملة الفرنسية مسيو جومار فيما سجله فى كتابهم العظيم (وصف مصر) : إن الأمانة فى الشعب المصرى يومئذ كانت بالغة ذروتها العليا ، فكانت الغلال والبضائع التى تنقل من السفن إلى شاطئ النيل فى بولاق تلقى بالعراء

مكتبتنا العربية

وتبقى على الشاطئ أياما بلا حارس يحرسها ولا بناء يحفظها . فلا تمتد إليها يد سارق ، ولا يطمع فيها أحد فى ليل أو نهار .

هذه شهادة من خصم ، مدونة إلى هذا اليوم فى كتاب عظيم محترم من الجميع .

هكذا كنا قبل أن يداهمنا تيار الحضارة الغربية منذ نحو مائة وخمسين سنة فقط .

فأين ذهبت هذه الأمانة التى كانت من أخلاق جماهيرنا ودهمائنا ؟

كيف فقدنا هذه الجوهرة الثمينة ، وما كان معها من جواهر الأخلاق الفاضلة التى هى فينا من بقايا أخلاق الإسلام ؟

إن الذى خسرناه من أخلاقنا ودينا مدة حكم أسرة محمد على كان أفدح وأكبر مصيبة من كل ما وصفته فى صدر هذا المقال من توغل الأجانب فى مرافقنا ، وائتمارهم ـ مع الإقطاعيين والظلمة ـ على الاستئثار بخيرات النيل والأرض التى تحتضنه من السودان إلى الدلتا .

وهذه الخسارة التدريجية فى الأخلاق والدين هى التى كان الأجانب وعملاؤهم من المصريين يسلسون لنا القياد للامعان فيها ، والانزلاق فى مهاويها ، وهى التى كانوا يعتمدون عليها فى إقامة سلطانهم وتوسيع دائرة مصالحهم ، إلى أن صاروا فى مصر كأنهم أصحابها ، وإلى أن صار أهلها وأبناؤها كأنهم الغرباء .

وكما كان من أثر النظام الذى قام فى مصر من عهد اسماعيل أن صار المصريون غرباء فى بلادهم ، فانهم صاروا كذلك غرباء عن أخلاقهم الإسلامية ، حتى صار للجريمة فى كل صحيفة يومية صفحة يومية ، بل مست الحاجة إلى أن تكون لها مجلة خاصة بها ، ومست الحاجة إلى أن تعقد فى دار الشبان المسلمين وغيرها ندوات للتحدث عن انحراف الشباب وأسبابه ومظاهره ، ومسئولية البيت والمدرسة عن ذلك ، والدور الذى تمثله شاشة السينما ، والصحف والمجلات التى تلتمس الرواج على حساب الشباب الذى تساعده على هذا الانحراف بل تدفعه إليه ببراعة وقوة وسرعة .

لله فى تغيير مجرى التاريخ ، وتحويل الأمم من حال إلى حال ؛ إحدى طريقتين : فاما أن يستدركوا ما فرط منهم فيعودوا إلى ما يرضيه من صالح الأخلاق وخالص الإيمان ،

مكتبتنا العربية

فيكون من ثمرة ذلك أن يمن عليهم بالقوة والهناءة والنظام السعيد . وإما أن يمتحنهم بإسداء النعمة قبل استحقاقهم لها، ليرى ان كانوا أهلا لذلك فيكتب لها الدوام فيهم والاستمرار .

وقد رأينا بأعيننا كيف كف الله عن مصر يد القضاء المختلط وذيوله ، والامتيازات الأجنبية وشرورها .

ورأينا بأعيننا جلاء جنود الاحتلال عن أرض الوطن ، فلم يبق على تمام الجلاء عن قاعدة القنال إلا أشهر معدودات .

ورأينا بأعيننا كيف سدت بالوعة قصر عابدين التى كانت تضيع فيها وفى قصور الكسالى والعاطلين من ذرية محمد على الألوف والملايين من أموال مصر ، فتحولت هذه الأموال إلى مصانع الأسلحة ومصانع الحديد والصلب ، وإلى إقامة السد العالى، وإصلاح المرافق ، وتعمير البلاد وتجميلها .

هذه الدار قد جددنا شبابها ، وأخذنا نبعث فيها روح النشاط والقوة . فكيف السبيل إلى تجديد شباب سكانها ، وازدهار أخلاقهم، وبعث روح النشاط والقوة فيهم ؟

الأخلاق ، الأخلاق . هذه هى عين الحياة لكل أمة تريد أن تقوى وتسود وتسعد ، والمادة الخامسة من دستورنا الجديد تعلن على ملأ الأشهاد أن « الأسرة أساس المجتمع؛ قوامها الدين والأخلاق والوطنية » .

فهذا الفساد فى الأخلاق الذى فتحنا له فى كل صحيفة يومية صفحة يومية ، يجب أن يوضع له حد ، ويجب أن يعالج ، ويجب أنه تشفى هذه الأمة من أوصابه .

والقيام بهذا الواجب ليس منحصرا فى قادة الثورة ، ولا فى رجال الحكم ، بل هو واجب كل مؤمن بأن الأخلاق حياة الأمم، ولا حياة لأمة بلا أخلاق .

مدرس التاريخ ، ومدرس الأدب ، ومدرس المواد الاجتماعية مطالب من ربه ومن وطنه ومن أمته ومن نفسه بأن يتخذ من دروس التاريخ أو الأدب أو المواد الاجتماعية وسائل وذرائع لبناء دعائم الأخلاق — الأخلاق الفردية ، والاجتماعية ، والقومية — فى نفس كل طالب، لأنه أمانة الوطن بين يدى المدرس، وهو ابنه الروحى فى الفصل وفى المدرسة ، كابنه فى الدم والنسب .

مكتبتنا العربية

فى كراسى التدريس الجامعى والثانوى مدرسون وأساتذة سلبهم الله نعمة الإيمان بالإسلام ، فهم دائبون على تشكيك الطلبة فى دينهم ، وتشويه سيرة أعلامه ، وإساءة التأويل فى تاريخه . هؤلاء الأساتذة والمدرسون شر على الأمة والوطن من قيام إسرائيل شوكة فى كيان العروبة ، لأن شوكة إسرائيل فى كيان العروبة قد شعرت العروبة بعداوتها وهى تتألم منها وستعرف كيف تتخلص منها ، وأما هؤلاء الذين يسيئون إلى كيان العروبة والإسلام باسم العلم فانهم يلبسون مسوح العلماء وهم دجالون ، والخير كل الخير فى إنقاذ رجال المستقبل من شرهم ، ووضع حد لهذه المهازل التى يبرأ منها العلم ، ويجب أن تتطهر منها كراسى التعليم .

وفى الصحافة أقلام (تجاهد) لتحطيم بنيان العفة فى قلوب الفتيات والفتيان باسم الفن والأدب والقصة والتصوير والتجديد ، هذه الأقلام يجب أن تكسر فى وجوه أصحابها ، ويجب أن يعلم هذا الوطن أنها أسلحة شرعت لحربه ، وأنها مقضى عليها بالمادة الخامسة من دستورنا الجديد .

وهذه الأفلام السينمائية التى تدفع الأمة دفعا الى الانحراف والجريمة والانحلال ، لاينفع فيها منع الأحداث من الاتصال بها بل ينبغى أن تمنع بتاتا بيد قوية حازمة وأن لا تعرض على أنظار الجميع كبارا وصغارا . إن السينما وسيلة خير ووسيلة شر ، وقانا الله شرها ، ويكفينا منها ما قد يكون فيها من خير محض .

نحن الآن فى دور نقاهة وانتقال الى كيان جديد يجب أن نكون أقوياء فيه بأخلاقنا ودينا ومعارفنا وأنظمتنا ووسائل عيشنا . وهذا الانتقال لا تستطيعه الحكومة وحدها ولا قادة الثورة بأشخاصهم ، بل لا بد أن تتعاون عليه الأمة كلها ، على قدر طاقة كل فرد فيها ، وبمقدار ما يدركه من مسئوليته ، ولا أتردد فى أن أقول : إن عبء هذه المسئولية واقع فى الدرجة الأولى على كل أزهرى ، وعلى كل متعلم ، وعلى كل حامل قلم . والانتقال الى الكيان الجديد يجب أن يكون بالعمل والقدوة ، قبل أن يكون بالكلام والوعظ الذى يبقى رنين صوته فى مكانه لا يتجاوزه الى ميادين العمل . فالوعظ بالقول دون العمل هو العلم الذى استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم منه ووصفه بأنه العلم الذى لا ينفع .

أيها العلماء ، أيها المثقفون ، أيها المتعلمون ، نحن فى دور نقاهة وانتقال الى كيان جديد ، والعبء ثقيل ، فلنتعاون جميعا على حملة صادقة فى سبيل القوة والاستقامة لنتخلص من ضعفنا ، فان الضعف جريمة ، وأهله لا يستحقون الحياة . . .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

- ٣٨ -

دعائم المجتمع الصالح

(ا) أمانات ، وعـــدل

(ب) وطـاعات ، واحتـكام إلى الـكتاب والسنة

(ا) ١ — « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »

٢ — « وإذا حكمتم بين الناس أن تحـكموا بالعدل »

(ب) ٣ — « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

٤ — « فأن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

تمهيد : المشرعون فى مختلف الأمم ينشدون استقرار الحيـاة ، وتوفير الطمأنينة ، ويضعون من التشريع ما يبتغون منـه تحقيق أغراضهم . . . وهم يصدرون فى هذا عن تجاربهم فى تعرف الثغرات التى يحسونها فى محيطهم ، وعن اجتهادهم فى توخى المصلحة .

وواضح أن التجارب والاجتهاد مهما يكن لها من مساعدات فى ملاءمـة التشريع ، فانهما لا يبلغان مبلغ الإيحاء السماوى ، ولا يغنيان غناءه فى شئون المجتمع ، ولا فى الـكثير منها : ضرورة أن شرائع الناس مكيفة بروح الزمن الذى وضعت له ، والبيئة التى نجحت فيها ، وبقاء الزمن والبيئة على لون واحد أمر غير مفروض ، فيكون طبعيا أن ما يصلح لليوم لا يصلح للغد ، وما ينفع فى بيئة لا ينفع فى أخرى .

لذلك تـكون الأمم المتدينة لاجئة إلى دينها : لا بحكم العقيدة فقط ، ولـكن بدافع الحاجة إلى الاهتـداء به والاقتباس منه ، ويكون المجتمع الإسـلامى بصفة أخص

مكتبتنا العربية

أولى الشعوب بالاتجاه نحو دينه وأجدرها بالمسارعة إلى الأخذ به ، فأن للمسلمين كتابا حافلا بالنظم المدنية ، ولا ينقصه شيء من أساليب التقنين لكل ما تنشده الإنسانية بعد مراحلها الأولى ، وفيما يمس الحياة فى مستقبلها المتجدد . . ولسنا فى مقام الموازنة حتى ننادى بأنه دين الخلود ولا جرم .

وأنت إذا قرأت القرآن ، واستوعبت سنة الرسول ، وجدت الجانب الأكبر منهما فى التنظيم الاجتماعى ، وفى تربية الضمير ، وتكوين الأنفس على غرار حسن ، وفى دعم المجتمع بالخلق الرفيع ، ووجدت نصوص الأحكام على كثرتها محصورة العدد إلى جانب ما يتعلق بالفضيلة .

ومحتوى ذلك أن غرس الفضيلة ، وتقويم الخلق فى المكان الأول من الشريعة الإسلامية . وشاهد ذلك من القرآن نفسه أن الله أثنى على رسوله محمد بعظمة خلقه ، ورقة قلبه فى قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم - ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك - بالمؤمنين رءوف رحيم » ولو أن الجانب الخلقى بلغ مبلغ الكمال أو قريبا منه عند الناس جميعا ، أو عند أكثرهم ، لاستغنوا عن كثير جدا من التقنين المدنى الذى اقتضته نزعات الانحراف ، ونزوات النفوس .

لذلك جاء القرآن معنيا جد العناية بالناحية الأدبية ، وأكثر فيها من توجيهاته وإرشاده مراعاة لأن النفس أمارة بالسوء فهى بحاجة إلى مقاومة شديدة .

(١) — ومما جاء به القرآن لضمان الاستقرار ، وذيوع الطمأنينة : تلك الأمور التى توجنا بها حديث اليوم : أمانات ، وعدل ، وطاعات ، واحتكام إلى الكتاب والسنة . وإنك لتلمس فى مطلع الآيات آكدية التكليف بهذه الأمور الأربعة ، فمبدؤها :

١ — « إن الله يأمركم » وفى ذلك توكيد بأن . . وتصريح بذكر الله . . وإخبار بأنه يأمرنا ، فكأنه أمر سابق مفروض الحصول لا يحتاج إلى إنشاء جديد . . وهو بصيغة المضارع يقارن زمنه ويتحدد مع الزمن فى مستقبله ، ثم هو يتجه إلى جميع المخاطبين به من وقت حصوله إلى نهاية الدنيا : دون استثناء رجل أو امرأة ، ولا ملك أو سوقة .

مكتبتنا العربية

ولا شك أن الخطاب على هذا النمط يثبت تعلق تلك الأمور بكل ذمة من ذمم المسلمين بل وغير المسلمين مضافا إلى مطالبتهم بأصل الإيمان .

٢ — والأمانه شاملة لكل ما يعهد بحفظه إلى الغير من أموال ، وأقوال غير منكرة ، وشاملة لما يوكل إلى الإنسان من أعمال وظيفته ، وصناعته ، وكل ما يرتبط به صالح الفرد والمجموع ويعتمد فيه على حسن الظن بالأمين .

وذكر الأمانات بلفظ الجمع يقوم مقام التفصيل فى التكليف بها ، والتفصيل متروك إلى ماتكشف عنه حوائج الناس . . . وقد بلغ من شأن الأمانة فى الإسلام أن ذكرها القرآن كثيرا ، وذكرها فى سياق الأمر بأهم ما يعنى به من صلاة وزكاة ، ومحافظة على الأعراض .

٣ — وبلغ من شأنها كذلك أن الله اعتبر دينه أمانة عند عباده ، وأفاد أن السموات والأرض والجبال على عظمتها لم تتهيأ لحمل هذه الأمانة .

ولكن الإنسان بما امتاز به من عقل ومواهب كان أهلا لحمل تلك الأمانة ، وللتكليف بها ، فأذا اداها على الوجه المطلوب كان أمينا ، وإذا لم تكن الأمانة التامة من خلائقه وشيمه ، فهو مستهين بحق الله وحقوق الناس ، وهو ظلوم جهول كما تحدث الله عنه ، والظلوم الجهول مهدد بعذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات .

٤ — وبلغ من شأن الأمانة بين الناس أن الله رفع مستواها حتى جعلها فى مستوى الأمانة من الله ورسوله ، وجعل الخيانة فى شىء منها كالخيانة فى أمانة الله ورسوله . . . فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » أى تعلمون أنها أمانة ، وتعلمون شأن الأمانة فى شريعة الله ، وتعلمون خطر الخيانة فيها عند الله .

٥ — وبلغ من شأن الأمانة أخيرا أن النبى صلوات الله عليه نص على أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، ومعنى ذلك فى صراحة أن من فقد الأمانة ، أو تزعزعت فيه تلك الصفة ، فقد ضيع دينه . ونحن لا نرى فى ذلك مبالغة ، إذا ذكرنا خيانة تقع من قائد أو جندى ، ويعرض بها حياة الأمة ، أو سيادتها للضياع . . أو ذكرنا خيانة من رجل السياسة حينما يخادع شعبه بالأباطيل حتى يرجع بشعبه عن مقاصده ، ويمكن للفساد أن يستشرى فيه ،

مكتبتنا العربية

أوذكرنا خيانة الرجل لزوجته، أو الزوجة لزوجها، حتى تنعدم الثقة بينهما، فيكون ذلك هدما لبناء الأسرة، وزعزعة للنظام العائلى، والأسرة وحدة من وحدات الأمة، وانحلال أسرة من الأسر كتناثر الحجر من بين صفوف البناء يوشك أن يجتذب حجرا وحجرا بعده، فيفقد البناء قوته، ويكون قريب الانهيار، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.

وهكذا نجد الأمانة متغلغلة فى الذمم، وضاربة فى كل شأن، وكل امرئ منا مأمون على ما بيده، فأذا خان فهو مسئول عن رعيته.

(ب) الدعامة الثانية: العدل بين الناس.

١ — والعدل من صفات الله، والله يدعونا إلى الاتصاف بصفاته ليستقيم الأمر بيننا كما استقام ملك الله فى ملكوته بعدله سبحانه.

وكم أهاب القرآن بنا أن نعدل فيما بيننا، بل حتم علينا أن نأخذ أنفسنا بالعدل ولو مع عدونا، وكم حذرنا أن نميل عن العدل طواعية لعاطفة، أو تشفيا من ذى خصومة.

« ولا يجرمنكم شنآن قوم — بغضهم — على ألا تعدلوا: اعدلوا.. هو أقرب للتقوى » « وإذا قلتم فاعدلوا، ولو كان ذاقربى ».

٢ — والإسلام كدين سماوى مدنى يأبى أن يكون فى ظله شىء من الجور، لأن المدنية الصحيحة لا تقوم إلى جانب الظلم، وليس العدل خاصا بالحكام، بل هو متعلق بكل من يؤخذ بقوله فى خصومة، أو يحتكم إليه فى رأى، أو يتولى رعاية فى جماعة، ولو فى أهله وولده.

٣ — ولأن العدل وشيجة بين الناس، ومدعاة للاطمئنان: ترى النفوس مرهفة لالتماسه فى شهادة الشاهد، وفى قضاء القاضى، وفيما يجرى على الألسن، وترى من وراء ذلك حبا يتمكن فى القلوب إذا رأوا عدلا بينا، وكراهية تطيح بالروابط إذا لمسوا حيفا ولو ضئيلا. ذلك لأن العدل لغة الضمائر، وله سلطان على الأرواح، ولقد احتكم يهودى مع على بن أبى طالب رضى الله عنه أمام شريح قاضى المسلمين، وكان اليهودى أخذ درعا لعلى وادعاها لنفسه وهو يعلم بكذب نفسه، ولما وجد من عدل شريح أنه لم يتعصب

مكتبتنا العربية

لأمير المؤمنين ، وسوى بينه وبين اليهودى فى موقف القضاء ، ولم يسمع شهادة الحسن ابن على لأبيه ، واكتفى بيمين حلفها اليهودى وحكم له بالدرع ، اهتزت نفس اليهودى إعجابا بعدالة الإسلام ، وذهبت حفيظته على المسلمين ، وأعلن إسلامه وهو فى غبطة وجذل .

وتلك روحانية الإسلام فى قضائه العادل . . . وفى هذا الباب تقف الأقلام دون استيعاب الأمثلة فى سياسة الرسول وصحبه مع من أخضعهم الإسلام لحكمه ، وخفقت على أوطانهم راية القرآن حتى انضووا إليها راغبين فرحين .

٤ — وانظر تجد القرآن بعد أن ذكر العدل نوه إلى ما فيه من نفع لديننا ودنيانا فقال : « إن الله نعما يعظكم به » يعنى نعم الشىء الذى يعظكم به الله : هو العدل .

(ح) ومن العدل المنشود ألا يتمرد محكوم على حاكم ، ولا صغير على كبير .

١ — ولا يختلف إنسان على من له حق الطاعة من ذوى العلم ، وذوى الاختصاص فى عملهم ، وفيما يلون من شئون الدولة ، وإذا كانت الطاعة لله فيما شرع ، وللرسول فيما بلغ وبين : حقا مفروضا على المؤمنين ، فالطاعات فيما يكفل نظام الدولة ، وفيما يجدى على الناس ويجمع شملهم ، من أقوى التكاليف الدينية : إذ الإسلام دين ودنيا معا . . .

وليس من مظاهر الإسلام أن يكون شقاق ، أو تكون فتنة وتنازع مادامت الطاعة فيما لا يجافى تعاليم الدين . وحسبك أن كلمة الإسلام معناها الطاعة ، بل أقصى ما يكون من الطاعة لله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » . ومن طاعة الله ، وإسلام الوجه إليه تعالى : تنفيذ أمره فى تبادل الطاعة بيننا حتى لا تنازع الأمر أهله .

فالعالم يطاع فى علمه ، والطبيب الحاذق يطاع فى طبه ، والقائد يطاع فى جيشه ، والحاكم يطاع فى حكمه ، وهكذا ليستقر النظام العام ، وتتجه الجهود إلى الغايات ، ويعود الخير على الجميع « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »

٢ — لذلك يعتبر القرآن أن الخروج عن الجماعة شذوذ وضلال ، وتعرض للعذاب فى جهنم . . . ويعلمنا القرآن أن إثارة الخلاف تعتبر إيقاظا للفتنة ، ويصرح بأن الفتنة أشد من القتل ، والنبى صلى الله عليه وسلم يلعن كل من أيقظ فتنة بين الناس .

ولذلك أيضا ينصح القرآن باجتناب أسباب الفرقة ، ويتهددنا بالوبال إذا خالفنا

مكتبتنا العربية

واختلفنا « فليحذر الذين يخالفون عن أمره : أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عـذاب أليم » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

(د) ولـكن اختلاف الرأى أمر فطرى ، ولعله وسيلة إلى الفلاح إذا كان غـير مشرب بالعناد ، ولا ناجم عن هوى ، فحينذاك يكشف عن وجوه الصواب ، و يبصرنا بمواطن الزلل .

١ — ولقد دعا الإسلام إلى المشورة ، وفتح باب الاجتهاد ، وعاب على المهملين لعقولهم الرشيدة ، والمتكاسلين و راء التقاليد العمياء . . وكل ذلك حفز على تبادل الرأى والاجتهاد ، فى التمـاس المصلحة . . .

٢ — غير أن الرأى قد تخالطه حمية ، أو تشو به عصبية ، فيكون مؤذنا بالفتنة ، وقاضيا على الوحدة . لذلك حتم القرآن علينا ألا نركب الرءوس ، ونطاوع الهوى ، وأن نرجع عن هذا التطاحن إلى كتاب الله ، وسنة رسوله .

والرجوع إليهما حين الاحتدام يحتاج الى يقين و إيمـان بمافيهما ممـا شرع الله ، وفيهما الهداية والتبصرة « فأن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول : إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . . ذلك خير وأحسن تأويلا » وهذه عدة من الله لعباده إذا رجعوا إلى كتابه وسنة نبيه بأن يهديهم الى الخير ، وأن هذا كما هو خير الآن ، فهو أحسن تأويلا : عاقبة .

وهـذه توجيهات ترتضيها الأنفس المطمئنة بالله ، ويغتبط بها المخلصون لأمتهم ، فأنهم يرون فيها دعائم قوية ينهض عليها المجتمع المرغوب فيه ، ولا ينفر من تلك التوجيهات إلا خصوم الحق ومصطنعو الوطنية .

هذا ـ ومن عجائب المجتمعات الإسلامية فى كل واد أنهم يلمسون فى تاريخ الأسلاف تصديقا واقعيا لـكل ما هـداهم به القـرآن ، ودعاهم إليه ، فأن أمجـاد المسلمين ، ومجتمعهم الذى بهر الزمن ، لم يقم إلا على تلك الدعائم الـكريمة ، حتى وضح فيهم يومذاك أنهم خـير أمة أخرجت للنـاس . . . ثم غلبتهم الأنانية ، وتسربت إلى صـفوفهم الدسائس ، وشجر بينهم خلاف وخلاف ففاتتهم فرص ذهبية ، وفرغت صفحات فى التاريخ من ذكريات طيبات تلائم ذكريات الأوائل من رجال الإسلام .

ولـكنا نعود ونقول : إن الله قد رضى لنا الإسلام دينا ، وأكرم أمة محمد لأجل محمد ، فـلم يعجلهم بالشر كما يستعجلون الخـير ، وفتح أمامهم باب الرجـوع عن مآثمهم ،

مكتبتنا العربية

إلى هدى كتابه، وسيطيب للناس أن يستجيبوا لدعوته بعد أن غمرتهم ضلالة الهوى، وراقتهم الشهوات .

وان يكن الباطل فاشيا فيهم اليوم فسينتصر الحق ويتغلب، وسيذهب الباطل مدحورا « إن الباطل كان زهوقا ». ومن الحق علينا شكرنا لله أن نفح مصر نفحة من رحمته فهيأ لها من رجال ثورتها من يرفع النداء جهيرا بدعوتها إلى النهوض، ويفسح لها الخطا إلى الإمام، لتدرك ما فاتها وتجدد ماوهن من قوميتها، وتجمع ما تفرق من صفوفها، وتستضيء بهدى دينها، وتسبق غيرها فى سبيل الحياة الجدية الجديدة، وتقيم بنيانها منذ الآن على ما أوضح القرآن من دعائم المجتمع الصالح .

ومصر بحمد الله مستجيبة لنداء الثورة، وسائرة خلف أبطالها فى جد، وساعية معهم فى نشاط : بارك الله مصر وبارك نهضتها ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

موجة الانحلال فى الادب المعاصر

ظاهرة مؤسفة تتجلى واضحة فى الأدب المعاصر على إطلاقه، هى ظاهرة الانحلال التى تتستر تارة تحت ثوب الفن، وتارة تحت مذهب من المذاهب الشاذة الجديدة، وطورا تحت ذريعة التجديد .

ويتخذ هذا الانحلال أشكالا شتى تنعكس على كل مايسمى بعمل فنى : فانحلال فى اللغة مرجعه الى جهل قواعدها وأصول مفاتيحها، وادعاء استعصائها على الإدراك .

وانحلال فى المعانى والأخيلة، حتى صارت المعانى المبدعة هى المعانى التى تختلط باللذة الحسية والشهوة العارمة .

وانحلال فى التفكير، حتى التوت مسارب الفكر أمام حملة الأقلام .

وانحلال فى الموازين والمقاييس، حتى غدا العمل الفنى مقيسا لا بأصالته ونصاعة ديباجته وجدة معانيه، بل بقدرته على الإثارة، وقدرة الكاتب على تصوير العاطفة بأحسن العبارات وأرخصها .

عن مجلة (الأديب) البيروتية

وديع فلسطين
بالقاهرة

مكتبتنا العربية

السنة

سيد الأزواج

— ١ —

أعرف الناس بالمخـدوم والزوج ـ أساس السعادة الزوجية ـ من حق الإنسانية على الناس ـ أعرق البيوت فضـلا ونبلا ـ أكرم زوج وأعظم أم ـ مثل من المـكارم العليـا .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولـكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربمـا ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعث بها فى صدائق خديجة ، فربمـا قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيـا امرأة إلا خديجـــة ! فيقول : إنهـا كانت ، وكانت ، وكان لى منها ولد .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

قلنا فى هذا المـكان لمناسبة من الخلق النبوى العظيم [١] :

والخدم والأزواج أعرف الناس بالمخدوم والزوج ، ولو كانت واحدة لقلنا زوج تحب زوجها وتثنى عليه ، ولو كانت اثنتان أو ثلاث أو أربع لافترضنا المحال واقعا وقلنا : اتفقن كلهن جمع على هذا الحب والثناء ! ! فـكيف وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى ـ صلوات الله

---

(١) انظر جزء رجب من مجلد العام المـاضى .

مكتبتنا العربية

وسلامه عليه ـ وفى عصمته الطاهرة تسع كان بينهن من المنافسة والغيرة ما لا يحتمله بشر ، إلا أن يكون نبيا أيده بالمعجزات خالق القوى والقدر ؟ ! .

وإذا لم يتسع المقام هناك للبسط والتفصيل ، فإننا نحاول هنا بعون الله وتوفيقه أن نجلى ـ فى شىء من البسط والتفصيل ـ خلق النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته ، ومع أزواجه أمهات المؤمنين واحدة ، ليعلم من لم يكن يعلم أن بيوت النبى صلى الله عليه وسلم ـ على تواضعها وكفاف عيشها ـ أعز البيوت وأكرمها ، وأسعدها فى الآخرة والأولى ؛ وأن السعادة الزوجية ليست فى زينة الحياة الدنيا ومتاعها ، وإنما هى فى كرم المعاملة وحسن المعاشرة ، ومكارم الأخلاق وطهارتها . . . ثم ليعلم من لم يكن يعلم أن سيد الأزواج جميعا ، والمثل الأعلى فى الوفاء للناس عامة ؛ ولأزواجه خاصة ، هو من بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق .

هو سيد الأزواج وأوفاهم بلا ريب ، سواء منهم من اقتصر على واحدة ، ومن زاد عليها فى حياتها أو بعد مماتها . . وهو مصداق قوله صلوات الله عليه وسلامه : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم ، وقوله : خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى . رواهما الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه وصححهما .

* * *

ومرد هذا المثل الأعلى فى الوفاء والفضل إلى أن معاملته صلى الله عليه وسلم للناس عامة ، ولأزواجه خاصة ـ لم ينها قط ، وما ينبغى له أن يبنيها ، على أساس المنفعة العاجلة ، أو المتعة الزائلة ؛ فإن هذه معاملة التجار ، لا معاملة الأبرار ، فضلا عن معاملة المصطفين الأخيار . . . وإنما أساسها الفضيلة فى أوج رفعتها ، والمكارم فى ذروة سنامها .

* * *

وإذا كان صلوات الله وسلامه عليه هو السيد الأول للأزواج جميعا ؛ فإن كل زوج معه ـ منفردة به ، أو ذات ضرة أو ضرائر ـ سيدة للزوجات كلهن جمع ، على ما يعتريها من غيرة تزل الحليم الرشيد أحيانا ، حاشاه صلوات الله عليه وسلامه .

* * *

على أن كل واحدة منهن قد استمدت هذه السيادة الزوجية ، أو جانبا منها ، من معدن المكارم ، وينبوع الفضل والفضيلة ، صلوات الله عليه وعلى سائر النبيين إخوانه .

مكتبتنا العربية

لقد بنى الله بمحمد وأهله للعالمين أحد عشر بيتا ، هى فى حقيقة الأمر ـ لا مجازه ـ أحد عشر كوكبا ، تختلف عن كواكب السماء الدنيا : بأنها لا تأفل أبدا ، وبأن ليلها كنهارها ، تهدى السائرين على ضيائها فى الدجنة الحالكة ، كما تهديهم فى الشمس المشرقة على سواء .

* * *

وإذا كان من حق الإنسانية على الناس كافة أن يستضيئوا بكواكبها ، فأحق هذا الحق وأوجبه ، على أقرب الأقربين إليها ، وهم خير أمة أخرجت للناس ... ولا سيما المعنيين منهم بالشئون الاجتماعية والحياة الزوجية فى هذه الأيام .

إنهم إن استضاءوا بها ، فسوف يخففون من غلوائهم فى تعدد الأزواج وتقييد الطلاق ، وسيعلمون حق العلم أن الشأن إنما هو شأن التربية المنزلية ، والحياة الزوجية ، فى حدود ما أنزل الله ، من إمساك بمعروف أو تسريح باحسان ، ومن الزواج بواحدة أو أكثر من واحدة ، ما قامت الحياة على أساس العدل ومكارم الأخلاق .

* * *

والآن فلنبدأ بالبيت الأول : بيت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، لأنه أعرق البيوت فضلا ونبلا ، وأسبقها تاريخا وزمنا ، ولأنه الذى قدمه الله لنبيه وادخره له ، ليواجه به أحرج الأوقات ، وأشد الأزمات !!!

* * *

كانت تدعى فى الجاهلية الطاهرة ، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعى الأمين ، اختص كل منهما بلقبه لبلوغه الغاية فيه ... وكانت إلى مكارمها النادرة ، ونفسها الطاهرة ، ذات مجد تليد ، وثراء عريض ، وعقل راجح ، وفهم راسخ ، وبصر بالأمور عجب ...

وحسبك أن السادة من العرب كانوا يزدادون شرفا بالزواج منها أو الانتماء لها .. حتى حظى بهذا الشرف اثنان : أبو هالة النباش من سادة بنى تميم ، وعتيق بن عابد القرشى من سادة بنى مخزوم ، وقد ماتا عنها كلاهما ، أحدهما بعد سابقه ، من بعد أن أعقب الأول منها هندا وهالة .. وهما رجلان صحابيان .. وأعقب الثانى منها هندا .. وهى صحابية .

ثم زهدها الله فى الرجال على شدة رغبتهم فيها .. حتى إذا بلغت أشدها واستوت ، وبلغت أربعين سنة ، فأضحت أكرم زوج فى الوجود ، وأعظم أم فى الخليقة ، وأعقل وزير وأخلصه فى النصح والصحبة ـ رغبت هى فى أن تكون زوجا لسيد الأزواج بل لسيد العالمين جميعا .

مكتبتنا العربية

هكذا تفرست ، وهكذا صدق الله فراستها فأعدها لأمر عظيم ، لم تك تصلح إلا له ؛ ولم يك يصلح إلا لها .

* * *

لا نريد أن نتقصى تاريخ هـذا الزواج المثالى مبدأ ونهاية ، فقد كفتنا مئونة هذا التقصى صحاح السيرة والشمائل .

وحسبها فضلا ونبلا أنها كانت أسرع الناس إلى هواه ، ولا يهوى إلا الخير خالصا ، وأنهـا أول من آمن به واستجاب لدعوته ، وأول من بشره وثبته فى رجفة الوحى إذ رجع بالآيات الأولى من غار حراء يرجف فؤاده ، وتضطرب بوادره ، حتى دخل على الزوج الحنون ، والأم الرءوم ، وهو يقول : زملونى زملونى . . لقـد خشيت على نفسى . . وأخبرها الخبر . . وياله من خبر . . فما كان جوابها إلا أن قالت : كلا ، أبشر ، فوالله لايخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحـديث ، وتحمل الـكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق (١) ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، فأكد بشارتها ، وصدق فراستها ، فى حديث الصحيحين وهو أشهر من أن يذكر . .

* * *

قضى سيدا الأزواج قبل البعثة المحمدية خمسة عشر عاما ، يعدل كل يوم منها دنيا الأمانة والطهارة ، والبر والوفاء ، وما شئت من خلال الفضل والنبل ، وكل منهما لذلك موئل وأهـل . . ثم قضيا بعد البعثة عشرة أعوام كاملة ، كل يوم منها من أيام الله ، فلا يقدر قدرها ، ولا يحصى ثناءها ، إلا هو سبحانه ، تباركت آلاؤه ، وجلت نعماؤه . .

* * *

وهنا نرجو قبول المعذرة ، إذ نمسك بالقلم بعد هـذه المقدمة التى لا بد منها بين يدى هذا الحديث الخطير ، حديث الغيرة بين أمهات المؤمنين ، وخير نساء العالمين . . وعسى الله أن يأتى بفتح من عنده ، وعون على البيان بأذنه ، وموعدنا الجزء التالى إن شاء الله ؛

طه محمد الساكت

---

(١) البادرة : لحمة بين المنكب والعنق ، والـكل : العاجز الذى لايستقل بأمره ، والمعدوم والمعدم : الفقير الذى لا مال له ، وكسبه وإكسابه : إعطاؤه والانفاق عليه ، وقرى الضيف : إكرام مثواه ، ونوائب الحق : كوارثه ونوازله ، ووصفتها بالحق لأنها تـكون فى غيره . وصفته بأصول المـكارم التى أخذ بمجامعها ، وارتقى إلى ذروتها . . وأقسمت مطمئنة بفطرتها وصادق تجربتها ، على أن صاحب هذه المـكارم لن يضيعه الله أبدا . . بل يكرمه بحسن العقبى . .

مكتبتنا العربية

الاله والوجوديون

- ٣ -

حدثتك أيها القارئ فى مقالىّ السابقين حديث الوجوديين الذين يهذون و يقولون ما يجافى العقل الصافى والطبع السليم ، واستمع فى مقالى هذا إلى حديث من تمذهب بهذا المذهب من أهل بلادنا المحبوبة ، وجعل يدعو إليه و يؤلف الرسائل فيه ، و يعتبر نفسه الآن حجة الفلسفة (كذا) الوجودية فى جمهوريتنا المصرية .

استمع الى فقرات من بعض رسائله ، نشرها الأستاذ الكبير نقيب الصحفيين أحمد قاسم جودة فى بعض أعداد الجمهورية من حقبة مضت من غير تعليق عليها ، استمع إليها لتعرف أن هؤلاء الوجوديين خلفهم كسلفهم : يفكرون بقلوب لا يفقهون بها ، و ينظرون بعيون لا يبصرون بها ، فعموا وصموا ، وضلت عنهم العقول والأفكار .

استمع إليه يصور مذهبه فيقول :

« هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك . إما وأن تقول باللا أخلاق فتخاطر بوجودك ، لكن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته » .

يتشكك أولا فى إمكان قيام أخلاق وجودية ، ثم ينتهى به البحث الى إنكارها ونفيها ، وجرى فى بحثه على أن للمرء ذاتا مستقلة ووجودا ، ثم فرض الأخلاق مرة واللا أخلاق (عدم الأخلاق) مرة أخرى ورتب على كل منهما أمرا ، فرتب على الأخلاق (أى اتصاف المرء بها) فقدان الذات ، ورتب على اللا أخلاق المخاطرة بالوجود أى تعرضه للضياع والهلاك . ثم فاضل بين المخاطرة بالوجود و بين فقدان الذات فزعم أن الوجودى الحق هو الذى يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته ، و إذن فالنتيجة أن الوجودى لا يعترف بالأخلاق ، ولا يجعل لها قيمة ، محافظة على ذاته ، و إن خاطر بوجوده وعرضه للهلكة والضياع .

مكتبتنا العربية

ولست أرى قولا أبعد من صواب وأقرب إلى خطأ من هـذا القول ، فمتى كان الوجود والذات أمرين يمكن المخاطرة بأحدهما ولو مخاطرة معنوية دون الآخر ، أو يمكن فقدان أحدهما ولو معنويا دون الآخر ؟

لا أريد أن أقول كما يقول فلاسفة المتكلمين : الوجود عين الموجود ، ولا أقول إنه غيره ، وليفرضه هذا الإنسان كما يشاء ، ثم ليقل لنا : كيف تصور عقله أنه يمكن المخاطرة بالوجود مع بقاء الذات مصونة محفوظة حتى نفقد الأخلاق صونا لها ، ونعرض نفس وجودها للمخاطرة . الله يشهد والعقلاء يشهدون أن هـذا منطق جانبه الصواب وظهر عليه الخبال .

إنه يريد أن يحاكى الفلاسفة فى تعبيراتهم حين يبحثون إذ يقولون مثلا : إما أن يكون هذا الشيء إنسانا فيكون قابلا لصفة الكتابة ، وإما أن يكون لا إنسانا فلا يقبلها ، فتراهم يقابلون بين الشيء (وهو الإنسان فى مثالنا) ونقيضه (وهو لا إنسان) ويرتبون على كل واحـد ما يناسبه ، ولا يمكن ترتبه على النقيض الآخر لا بالمباشرة ولا بالتبع كما فى مثالنا الذى ذكرناه ، ولكن هـذا الإنسان يرتب على قيام الأخلاق فقدان الذات ويرتب على عدمها المخاطرة بالوجود ، وظاهر إلى حـد البداهة أن فقدان الذات يتبعه قطعا فقدان الوجود ، وأن المخاطرة بالوجود يتبعها قطعا المخاطرة بالذات ، وإذن فقد رتب على الشيء ونقيضه شيئا واحـدا ولا يقول بذلك باحث مفكر ، وهـكذا شأنهم فى كلامهم :

فبعض القول ليس له حصاة كبعض الماء ليس له إناء

انظر إلى نتيجته التى انتهى إليها ـ وهى أن القول باللا أخلاق فيه مخاطرة بالوجود ، ولكنه يحفظ الذات ويبقيها ، هل ترى عاقلا يتبجح بمثل هذا القول المتهافت السخيف؟ أى قيمة للذات (على فرض أننا صدقناه فى بقائها مع المخاطرة بوجودها) من غير أن تكون متصفة بالأخلاق الفاضلة وكريم الصفات ؟

إذا فقد الإنسان أخلاقه وتجرد من كل الصفات الفاضلة وانحط إلى هـذا الدرك الأسفل من الحقارة، أفيكون له مركز بين بنى جنسه؟ أظنك لا ترى فى الناس شخصا واحدا يحترم إنسانيته أو حتى لا يحترمها يرضى لنفسه أن يكون مجردا من الأخلاق الفاضلة والخلال الكاملة ، أى فرق بينه وبين العجماوات إذن ؟ أى عاقل يقول إن القول

مكتبتنا العربية

بالأخلاق يفقد الذات ويهدمها ؟ إن الأخلاق تقوى صاحبها وتحييه حياة طيبة ، فإذا امتدت به حياته كان ملء السمع والبصر ، وإذا لقى حتفه كانت له ذكرى حسنة ـ والذكرى للإنسان عمر ثان ـ فهو فى كلتا الحالتين محفوظ الذات معزز الجانب .

إن الخلق الكريم يعز صاحبه ويحفظ كرامته ويرفع قدره ويحيى نفسه ويجعله بين الناس محترما معظما ، اذ الأخلاق هى موازين الرجال التى تدرك بها قيمهم وتعرف بها مزاياهم وقوة شخصياتهم .

تزين الفتى أخلاقه وتجله وتذكر أخلاق الفتى وهو لايدرى

إن الأمة التى تضيع أخلاق بنيها ويجردون منها تكون أمة واهية ضعيفة لا قيمة لها بين الأمم ، وما حوربت أمة قط فى أخلاقها إلا استذلت وانحطت قيمتها ، بل وقد تتلاشى من الوجود ويمسك بنواصيها عدوها وتديث بالصغار .

لقد كان الناس قديما يمجدون الأخلاق الفاضلة ويعتبرون صاحبها ويثقون به ، وكانت العرب فى جاهليتها الجهلاء تحافظ على الأخلاق أشد محافظة ، وتثور إذا مست الكرامة حتى لقد تقاتل حيان من العرب قتالا ذريعا لعبثة عبث بها غر جاهل من أحد الحيين بامرأة من الحى الآخر ، حيث شد ذيل ثوبها فى أعلاه بشوكة ، فلما قامت ظهرت سوأتها فضحك الناس فثارت وصاحت : يالفلان يالفلان ، تنادى حيها ، فثاروا على الحى الآخر وتنادوا السلاح السلاح ، ثم تقاتلوا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، وما ذلك إلا حفاظا للأخلاق وتقديرا لها واعتزازا بمكانتها ، ولكن الوجوديين يهدرون الأخلاق ويرضون لأنفسهم ألا يكونوا ذوى أخلاق ، وأن يتجردوا من كل وصف كريم « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة » .

استمع إلى هذا الانسان مرة ثانية يقول : (الوجودى الحق أعدى أعدائه القانون) أى الوجودى الحق فوضوى لا يحده قانون ولا يرده نظام ، كأنه من أبناء الغابات وساكنى الأدغال ، تنتشر بينهم الهمجية الفاحشة وتعمهم الفوضى الشاملة .

ليس يغيب عن الأذهان أن القانون أساس لنظام الأمة التى قنن لها وتهذيب أمورها الاجتماعية والاقتصادية وحفظ الحقوق والواجبات فيها بين أفرادها ، حتى لا يظلم بعضهم بعضا ، ولا يعتدى بعضهم على بعض ، ولا يسلبه حقا هو له ، ولا يحيف عليه فى نفس

مكتبتنا العربية

أو مال ، ولا يثلمه فى عرض أو متاع ، ولـكن هـذا الإنسان الوجودى يريدها حرية مطلقة لا تحدها حدود ولا يقف فى طريقها عقل أو دين، وتلك حرية البهائم والحيوانات .

يريد أن يتخذ هواه قائدا ومرشدا، لا يعصى له أمرا، ولا يخالف له إشارة ، والويل كل الويل لمن اتخذ هواه قائدا ومرشدا ، إنه يقوده إلى أحقر الأعمال وأسفلها وأحطها وأسوئها ، ويغريه دائما بالمفسدات ، ويلح عليه فى المنكرات ، بل ياليته يريدها حرية مطلقة ، إذن لهان الأمر قليلا ، فأن الحرية المطلقة قد تحمل صاحبها على فعل الخير مرة وعلى فعل الشرور مرات، فيكون فيه شىء من الخير ولو بسيطا جدا ، ولـكن هذا لم يكتف بأن القانون عدو له بل جعله أعدى أعدائه ، وإذن فلا يمكن أن ينفذ منه مادة واحدة، ولا يرعى له حرمة فى شىء ما، فتعدت حريته أن تكون مطلقة، وزادت فى تحللها عن حرية البهائم والعجماوات ، ولست أدرى بعد ذلك بم أسميها ؟هل أسميها الحرية الفاجرة؟ أو الحرية المنحطة السافلة . لا . بل أسميها الجنون ، ولـكنى أرى الجنون خيرا منها ، إذن بماذا أسميها ؟ الحق أنى على طول تفكيرى لم أعرف لها اسما ، ولا أدرك لها وصفا، إلا أن أقول : إن هذا هذيان يجب أن يذهب بصاحبه إلى محجر الحمق والمجانين — إنها لا تعمى الأبصار ، ولـكن تعمى القلوب التى فى الصدور . نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويهدينا دائما سواء السبيل .

(للـكلام بقية)

محمد الطنيخى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

الحيـــاء

قال علقمة بن علاثة للنبى صلى الله عليه وسلم :

— يا رسول الله ، عظنى .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : — استحى من الله ، استحياءك من ذوى الهيبة من قومك .

مكتبتنا العربية

كيف نتعلم من الحياة ؟!

الحياة . . . ذلك اللفظ القليل الحروف ، الجليل المعنى ، الواسع الآفاق . . . الحياة التى تشمل الفرد والمجموع ، والعقلاء وغير العقلاء ، والدانين والنائين ، والمرئيين والمستورين ؛ وما فى الماضى والحاضر والمستقبل . . . الحياة التى هى الحركة ، وكم من أشياء نراها ساكنة قارة ، وهى متحركة موارة : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون » .

هذه الحياة ، كيف نتعلم منها ؟ وكيف نأخذ عنها ؟ . . . وكيف نستفيد بها ؟ . . . لعل أول شرط للتعلم من الحياة هو أن نكون من الأحياء ، وأن نحقق معنى الحياة الصحيح فى أنفسنا ، فننزل ميدانها ونحن صالحون لها ؛ محسون بها ، مندمجون معها ، متأثرون منها ، مؤثرون فيها ، فلا نكون معها سلبيين دائما ، ولا تكون معها إيجابيين على « طول الخط » كما يعبرون ؛ بل نقف منها مواقف الإيجاب والسلب حسبما تقتضيه قواعد الحياة الأصيلة الكريمة .

وهناك عدة أمور يجب أن نلحظها حتى نستطيع أن نحسن التعلم من الحياة ، وأن نتقن السير فيها ، وأن نجيد الانتفاع بها ، فمن هذه الأمور أن نتذكر أن هناك فرقا بين المبدأ والواقع ، فالمبدأ هو ما يجب أن يكون ، والواقع ما هو كائن بالفعل ، والمبدأ نظرية مثالية رفيعة نطمح إليها ونتمنى بلوغها ، والواقع هو ما نبلغه فعلا بجهودنا المحدودة وخطواتنا المستقيمة حينا ، المتعثرة حينا آخر ، وشتان ما بين النظرية التى يتفلسف فيها العقل ، ويبدع فى تصويرها الفكر ، ويفسح من مداها الخيال ، وبين تطبيق هذه النظرية ، فمن السهل أن نضع مبدءا جليلا فى لحظات ، ولكن تطبيقه تطبيقا كاملا يحتاج إلى سنوات وسنوات ، والحياة أقوى أحيانا من الأحياء ، فاذا لم يكن كل ما تريد ، فانك تستطيع أن تريد جانبا أو جوانب مما هو كائن ، وتستطيع أن تستعين بهذا الذى هو كائن على تحقيق جانب أو جوانب من هذا الذى تريده أن يكون .

مكتبتنا العربية

والحياة ـ على الرغم من أصولها الثابتة الراسخة ـ جديدة دائما ؛ والعربية أدركت هذا منذ أقدم العصور ، فأطلقت على الليل والنهار اسم : « الجديدان » ، وهما المشهدان الخالدان خلود الدهر ، اللذان يطالعان الأحياء باستمرار ودوام ؛ وما دامت سنة الحياة التجديد ، فأنت لا تحسن الفهم عنها ولا الأخذ منها إلا إذا استشعرت هذه السنة ـ سنة التجديد ـ فى نفسك وفيما بين يديك ؛ وليس التجديد بترا ، أو انسلاخا من واقع ، أو انقطاعا عن سابق ، أو تعاميا عن قابل ، فحاضر الحياة الجديدة المتجددة منحدر من ماضيها ومرتبط به ، ومستقبل هذه الحياة وليد حاضرها وماضيها ، فجدد وتجدد ، ولكن لاتبتر نفسك من ماضيك ، ولا تغمض عينيك عن مستقبلك .

ونتعلم من الحياة الكثير إذا تذكرنا أنه لا يوجد اثنان من الناس يتحدان تمام الاتحاد فى جميع الأمور والأشياء ، فكل فرد يشابه أخاه فى طائفة من خصائص الحياة ، ولكن كل فرد نمط قائم بذاته ، يختلف عن غيره فى بعض الوجوه ، لأن « الفردية » هى الخصيصة الأولى التى تظهر فى الحى ، أو تبديها الحياة ، وقد رمز القرآن الكريم إلى نحو ذلك ـ فيما أظن ـ حيث يقول متحدثا عن مظاهر قدرة الله وجلاله : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

وحينما قال الحق سبحانه : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » كأنه أشار بهذا إلى أن قدرته أوجدت بعض مظاهرالاختلاف والتميز بين الفرد والفرد ، فى جزء صغير من الأطراف وهو تلك الخطوط الدقيقة الرفيعة الموجودة فى بصمات البنان . . .

ولأن التميز سمة الفرد نلاحظ أن ذلك الفرد يحاول دائما أن يثبت وجوده ؛ وأن يؤكد ذاته ؛ وأن يعبر عن كيانه ؛ فيغاير سواه عامدا أو غير عامد ، وتتخذ هذه المغايرة أشكالا ومظاهر عديدة : فى الطعام والثياب والحديث والحركة والتفكير وإصدار الأحكام . . .

بل قد ترى أناسا يشذون ويخالفون لمطلق الشذوذ والمخالفة ، حتى لقد يحتال عليهم أصحاب الذكاء ، فيعرضون عليهم آراء واقتراحات لا يريدها أصحاب ذلك الذكاء ، ليخالفها أولئك المولعون بالمخالفة ، وينادوا بنقيضها وهو ما يريده أولئك الأذكياء الذين يتظاهرون فى النهاية بقبولهم هذا النقيض إرضاء لأولئك المخالفين ! ! . . .

مكتبتنا العربية

وقد أشار إلى مثل هذا فى ميدان الهوى والعاطفة ذلك الذى يقول :

ولطالما اخترت الفراق مغالطا واحتلت فى استثمار غرس ودادى
ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادى !

وقد يكون من هذا القبيل أيضا قول الآخر فى معاندة الليالى له :

وكانت إساءات الليالى كثيرة فما برحت حتى شكرنا اللياليا

ونستطيع أن نحسن التعلم من الحياة إذا تذكرنا أن الأحياء يغلب عليهم طابع الذاتية ، أو الشخصية ، أو الأنوية ، أو الأثرة ، أو حب النفس ؛ وهذا الطابع الشخصى يتغلب على طابع النحنية ، أو الغيرية ، أو الإيثار ، فى أكثر الأحيان ؛ وقد يجمل المرء فرديته أو أنويته بمظاهر براقة ، وقد يخفيها بحيل تختلف قوة وضعفا ، حسب ذكائه ومهارته وتجربته ، ولكن يظل ساكنا هناك فى أعمق الأعماق ذلك الجبار العملاق المسمى «أنا» ! ! .

والأخلاق والتهذيب والتعليم والتربية ، كلها عوامل لتخفيف طغيان ذلك العملاق الرهيب « أنا » ؛ وقد تصادف هذه العوامل الكريمة العظيمة أرضا خصبة طيبة ، فتؤتى ثمراتها ، وقد تصادف أرضا خبيثة سيئة ، فلا يجدى التوجيه أو الإرشاد .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

ولنتذكر أيضا أن من قوانين الحياة والأحياء قوة التطلع إلى الجديد ، حتى فى أخس الحيوانات درجة ، وحينما قال الأولون : « لكل جديد لذة » كانوا يصورون طبيعة الأحياء خير تصوير ، فالنبأ الجديد ، والطعام الجديد ، والوجه الجديد ، والصورة الجديدة كل هذا له تأثيره ووقعه ؛ واللبيب من احترس فى لقاء الجديد ، فقد يخدعه بهرجه عن أصالة قديم نبيل .

والتكرار والتعود يفقدان أكثر الأشياء القيمة قيمتها ، وهذا مثلا منظر السماء المزدانة بنجومها وكواكبها ، إنه من أروع المناظر ، ولكنه مألوف معتاد ؛ ففقد بألفته واعتياده الكثير من روعته فى نفوسنا ؛ وكم شخصا منا يفكر فيه ، أو يتطلع إليه بتدبر أو تفكير الآن ؟ ! .

وأنت قد تعيش فى مدينة عظيمة ، وقد تكون جميلة ؛ ولكن الاعتياد يجعلك

مكتبتنا العربية

لا تفكر فيها ولا تحس بها ؛ ثم تصور حالك وأنت تطير إلى مدينة أخرى فى قطر آخر ، قد تكون أقل من مدينتك عظمة وجمالا . . . إنك تنتبه فيها للصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، وتتحرك حواسك ووسائل إدراكك كلها ؛ ولذلك كان من الواجب أن نتواصى بأيقاظ المدارك مع أشيائنا المألوفة من حين إلى حين ، فأننا بهذا الإيقاظ قد نلحظ منها ما يفيدنا فى أمور دنيانا وفى شئون حياتنا المختلفة .

* * *

ونحن نحسن التعلم من الحياة إذا تذكرنا دائما وأبدا أن الكثير من المظاهر كاذب ، وأن الكثير من الصور خداع ، وأن وسائل الأحياء فى الستر والإخفاء ، والتلون والادعاء ، والتظاهر والرياء ، والالتواء والاستخفاء ، مكنت هؤلاء الأحياء من كثير من التحريف والتضليل ، والتمويه والتخييل ، فأكثر الناس يبدون فى مظاهر اللطاف الضعاف ومن وراء هذه المظاهر ثعالب وذئاب ، وأكثر الناس يقولون مالا يفعلون ، ويعملون ضد ما يدعون إليه ، والقرآن الكريم يعطينا نموذجا لهؤلاء حين يقول :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » ! . . .

ما أكثر ما تعلمنا هذه الحياة ، وما أحوجنا إلى الكثير لكى نحسن التعلم عن هذه الحياة ! ! . . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

إذا تراكمت الاعمال

قال توماس كارلايل فى كتابه « الخياط يرقع » :

« ابدأ ـ قبل كل شىء ـ بالعمل الذى بين يديك، أى بالعمل الذى تعرف أنه واجب ، فأنك إن فعلت اتضح لك الواجب التالى » .

مكتبتنا العربية

الوحدة الاسلامية

وعوامل الضعف فيها

كتب الصحفى الباكستانى السيد يوركى مقالا فى مجلة « النيوكومنولث » تحدث فيه عن الوحدة الإسلامية وعوامل الضعف فيها . ومن رأى الكاتب « أنه لاينتظر أن تصبح الدول الإسلامية وحدة قوية متماسكة فى المستقبل القريب » ، ويقول : « إن من بين العقبات التى تقف فى سبيل ذلك نمو الروح القومية التى تطغى أحيانا على التمسك بأهداب الدين ، وقيام المنازعات بين بعض الأسر الحاكمة وبعضها ، الأمر الذى منع الجامعة العربية عن تأدية مهمتها على الوجه المنشود ، ثم حاجة الدول الإسلامية إلى الأسلحة وإلى النهضة الصناعية » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وعاد الكاتب الباكستانى فقال : « إن الروابط الدينية لها أثر كبير فى عقول الشعوب الإسلامية ، ولهذا تظهر أحيانا بوادر الوحدة التى تطغى على المصالح القومية ، فالنزاع على فلسطين مثلا يجب أن يكون من شئون العرب ، ولكنه كان مصدر قلق للمسلمين فى مختلف ربوعهم ، ومن هذه البوادر أيضا ظهور هيئات دينية فى جميع الأقطار الإسلامية ، وهى هيئات لم تلبث أن أصبحت ذات قوة سياسية ونفوذ كبير ، ولكن هذه كلها بوادر ظاهرية فقط » .

ثم تحدث الكاتب عن عوائق الوحدة من الناحية الاقتصادية فقال : « إن المشكلات التى تقف فى سبيل الشعوب الإسلامية قد بلغت حدا من التعقيد يجعل تنفيذ التحسينات التى تسد حاجة هذه الشعوب إلى النهضة الاقتصادية أمرا يقتضى وقتا طويلا ، وبخاصة لأن الحكومات التى تحاول معالجة هذا الموقف تجد أمامها الكثير من الصعاب ، كقلة الموارد المناسبة ، والافتقار إلى معرفة الطريق الصحيح إلى تنفيذ البرامج ، وقلة

مكتبتنا العربية

الكفايات ، ثم النضال فى سبيل الحكم . فهذه العوامل كلها تعرقل برامج الإصلاح من ناحية ، وتفسد النهضة السياسية من ناحية أخرى » .

وهذا الذى قاله الكاتب الباكستانى فيه ثغرات تحتاج إلى ما يسدها من التصحيح والتصويب ، فقد حسب أن نمو القوميات فى الدول الإسلامية مما يعوق الوحدة بينها ، ويجعلها بعيدة التحقيق . ويبدو أن الكاتب قد تأثر فى هذا الحكم بما قرره علماء السياسة من النظريات والآراء العامة ، ولو أنه تدبر الأمر فى عالم الواقع لوجد أن العكس هو الصحيح ، ذلك لأن القوميات فى الدول الإسلامية إنما تنمو وتطرد على أساس واحد ، هو التحرر والخلاص من النفوذ الاستعمارى ، واستعادة العزة الإسلامية التى تتمثل بمقوماتها فى تاريخ الإسلام المجيد ، وهذه هى بعينها الأسس التى تتجمع حولها الوحدة الإسلامية ، ومن هنا يمكن أن نقول إن نمو القوميات على هذا الوضع فى الدول الإسلامية ، إنما هو تسديد إلى قيام الوحدة ، ودعم لكيانها ، وزيادة فى الشعور بضرورتها ، على العكس مما قدر الكاتب الباكستانى .

ويرى الكاتب أن من بين العقبات التى تقف فى سبيل الوحدة الفقر فى القوى المادية ، وقلة الموارد المناسبة ، والافتقار إلى معرفة الطريق الصحيح ، وهذه نظرية قديمة كانت ترددها أقلام الكاتبين فيما مضى . أما اليوم فلم يعد العالم الإسلامى فقيرا أبدا ، ولكنه غنى بموارده ومرافقه الزاخرة ، وقد اكتشفت فيه منابع البترول ، وتفجرت أراضيه بالكميات الضخمة منه ، والبترول كما تعرف هو ما يسمونه بالذهب الأسود ، وهو عصب الحياة المادية وقوامها ، فإذا علمنا إلى جانب هذا أن مناجم أوربا وأمريكا قد نضبت ، وأنها فى طريق الانهيار ، أدركنا أن العالم الإسلامى قد أصبح بيده مفتاح الحياة الآلية والمادية ، أما التقدم فى الصناعة ، وأما معرفة الطريق الصحيح ، فليس هناك ما يعوق طريق العالم الإسلامى فيهما إلا الاستعمار ، فمتى خلص من هذا الوباء فانه بالغ فى هذا المكانة التى يريد .

وأخيرا يرى الكاتب الباكستانى أن الروابط الدينية لها أثر كبير فى عقول الشعوب الإسلامية ، ولكنه يرى أن هذا الأثر يبدو ظاهريا فحسب ، والحق أن أقل ما يوصف به هذا الحكم أنه إدراك سطحى للواقع ، ولو أن الكاتب تغلغل فى صميم الشعوب

مكتبتنا العربية

الإسلامية لأدرك أن الدين لا يزال أقوى وتر فى نفوس المسلمين ، وأن التراث الإسلامى إنما يجعل من الشعوب الإسلامية عقلية متفقة فى الاتجاه والتفكير وفى الارتباط بالدنيا ، وفى الإيمان بالآخرة ، وهذا الشعور القوى المشترك هو الذى وقف بهذه الشعوب فى وجه الأحداث الرهيبة ، وثبت أقدامها أمام ضربات الاستعمار القاصمة ، ولولا هذا الشعور القوى المتين لذابت الشخصية الإسلامية وتحللت ، وتبدلت لغتها وقوميتها ودينها كما كان يريد الاستعمار الأثيم .

وحين ضرب الكاتب المثل بحادثة فلسطين إنما نظر إليها على ما بدا فى صنيع الحكومات . ولكن ليعلم الكاتب الباكستانى أن نكبة فلسطين إنما هى جرح فى قلب كل مسلم ، وأن الشعوب الإسلامية لن تطيق بقاء الصهيونية متربعة فى قلب بلادها ، وبهذا الإيمان العميق استطاعت الشعوب الإسلامية أن تطرد الصليبية الغازية من فلسطين بعد أن عمرت فيها أكثر من ستين عاما ، وهى لا بد صانعة ذلك بالصهيونيين مهما طال الزمن ، ومهما تألبت قوى الشر وتحالفت لمساندة هذا البهتان .

نعرة صليبية ! !

وننتقل من هذه الجولة مع ذلك الكاتب الباكستانى إلى كاتب فرنسى تناول موضوع الوحدة الإسلامية ، ولكن من ناحية أخرى ، فقد كتب الكاتب الصحفى « فيكتور فرانكو » مقالا فى صحيفة « بارى برس » الفرنسية تحدث فيه عما سماه « قصة الإسلام ووسائل انتشاره ودفاع المسلمين عن قضاياهم » ، وقد استهل الكاتب كلامه قائلا : « إن أربعمائة مليون مسلم منتشرون على مساحة شاسعة تمتد من المحيط الأطلنطى حتى المحيط الهادى ، ولكن الصحارى تشغل نصف هذه المساحة ، وإذا رسمنا خطا مستقيما يبدأ من الخليج الفارسى حتى جبال أورال ، فهو يقابل المحور الجغرافى للعالم الإسلامى ، وليس لهذا الخط من أهمية إلا بالثروات البترولية التى تمتد على طوله ، فإن الدول الإسلامية تملك فى الواقع أكثر من نصف فائض البترول فى العالم » .

وبعد أن تحدث الكاتب عن تعاليم الإسلام بما هو معروف عمد إلى الغميزة التى أراد أن يدسها فى أطواء البحث فقال : « ومنذ ثلاثة عشر قرنا أخذ المسلمون فى مختلف الأقطار يعملون على إعلاء شأن الإسلام ونشر مبادئه بما يهدد التوازن العالمى على حساب أوربا . . والحلم القديم للمسلمين هو التوصل إلى وحدة الإسلام وعزته ، وفى القاهرة

مكتبتنا العربية

توجد المراكز التى تغذى هذا الاتجاه، ومن هذه المراكز تنبعث التوجيهات إلى جميع البلدان فى شمال أفريقية ، وفى أندونيسيا ، واستدل على ذلك « بأن الحركة الإسلامية المناهضة للسياسة الفرنسية فى الجزائر قد ناصرها العلماء المسلمون » .

أما ان العالم الإسلامى له أهميته بما فيه من ثروات بترولية كما يقول الصحفى الفرنسى فهذا حق ، وأما ان المسلمين يعملون لتحقيق حلمهم القديم فى وحدة الإسلام وعزته فهذا حق أيضا، بل إننا نقول للكاتب : إن المسألة لم تعد حلما ولكنها أصبحت حقيقة لا بد منها ، وأما ان المسلمين يأخذون فى ذلك بما « يهدد التوازن العالمى على حساب أوربا » ، فهذا ما لا يدريه التاريخ فى الماضى ، ولا نعرفه فى الحاضر . ونحن نسأل هذا الكاتب وأمثاله : متى عمل المسلمون على تهديد هذا الذى يسميه بالتوازن العالمى ؟ أكان ذلك يوم اندفعت دول أوربا وفى مقدمتها فرنسا على العالم الإسلامى لتفتك به باسم الصليب ؟ أم كان يوم وثب الاستعمار الغربى يتخطف أطراف العالم الإسلامى وينشب مخالبه فى صدره باسم المدنية ؟ وهل كان هذا لحساب التوازن العالمى الذى يذكره الكاتب أم لتهديد هذا التوازن ؟ !

إن الأمر فى التوازن العالمى الذى يتحدث عنه الكاتب وأمثاله من الكتاب الغربيين أمر مفهوم لنا، فأنهم فى الحقيقة لا يعنون بالتوازن إلا التوازن بين مصالح الدول الاستعمارية فى الشرق الإسلامى ، وإنما أراد الكاتب الاستعمارى بما أثاره من حديث : « التوازن العالمى على حساب أوربا» وبما أشار إليه من عمل المسلمين على تحقيق حلمهم فى الوحدة والعزة، أن يثيرها فى نفوس الدول الأوربية نعرة صليبية ليجمعوا خيلهم ورجلهم فى الوقوف أمام الحركات التحريرية فى الأمم الإسلامية ، ولعل الدول المسيحية أن تفزع لمساندة دولته فرنسا فى استعمارها لشمال أفريقيا ، ولكن فليعلم الكاتب الفرنسى الذى يكتب بعقلية الفرنسيين أيام الحروب الصليبية أن دعوته ليست مما يفزع العالم الإسلامى فى كثير ولا قليل ، فان تقف حركات التحرير الإسلامية حتى يتحرر وطن الإسلام من كل دخيل، وستبقى القاهرة عونا للأحرار فى كل مكان حتى تتحقق لهم حياة العزة والكرامة ، وإن الثروة البترولية الضخمة التى تتفجر فى أرض المسلمين ستبقى ملكا لأهلها ، ولن تكون للاستعمار بعد اليوم .

المؤتمر الإسلامى والوحدة الإسلامية :

ونعود من هذه الجولة مع ذلك الكاتب الفرنسى إلى الباكستان مرة ثانية ، ولكنا

مكتبتنا العربية

لن نبعد عن الموضوع كثيرا ، فقد نشرت مجلة « إسلاميك ريفيو » القاديانية مقالا عن المؤتمر الإسلامى فى مصر فوصفته بأنه « يمثل ذروة الجهود المتتابعة لتوحيد العالم الإسلامى الحديث » ، وقالت المجلة : « إن فكرة وحدة العالم الإسلامى الحديث قد نادى بها المصلح الكبير جمال الدين سعد آبادى ، والمعروف خطأ بالأفغانى ، ثم أتباعه من بعده أمثال الشيخ محمد عبده ، والأمير شكيب أرسلان ، والكواكبى ، ومولانا محمد على ، وأخيه مولانا شوكت على ، والحاج أمين الحسينى فى الأيام الأخيرة » .

ثم أشارت الصحيفة إلى المؤتمرات التى عقدت فى الآونة الأخيرة فقالت : لقد أعطت باكستان هذا الموضوع عناية كبيرة ، فعقدت فى كراتشى ستة مؤتمرات إسلامية عالمية فى السنوات الثمانى الماضية ، وكان من أهم هذه المؤتمرات المؤتمر الإسلامى العالمى الذى كان السيد أمين الحسينى رئيسا له ، ولكن نظرا لقلة المعونة المالية ، ولعدم التدبير الصحيح ، فأن المؤتمرات الإسلامية العديدة التى عقدت بين آونة وأخرى فى مختلف المراكز الإسلامية لم تخلف وراءها أثرا ملموسا .

وبعد أن تحدثت المجلة عن الفكرة فى إنشاء المؤتمر الإسلامى ، وكيف نبتت هذه الفكرة فى موسم الحج بين رجالات الإسلام وأعلامه أشارت إلى الأهداف التى قام من أجلها المؤتمر فقالت : « إنه يستهدف الارتفاع تدريجيا بحياة الشعوب الإسلامية من النواحى الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، ويؤمل فى استطاعة الوصول إلى الوحدة الشاملة للعالم الإسلامى » .

وهذا كله كلام طيب ، وإنه ليدل على مدى ما يعلقه المفكرون من أهمية على المؤتمر الإسلامى ، والأهداف التى قام من أجلها ، وإنا لنرجو أن يكون المؤتمر موضع أمل المسلمين فى تحقيق مقاصدهم وأهدافهم ، على أننا نعتقد أن أمام المؤتمر الإسلامى فى هذا خطوة لابد منها فى الطريق ، وهى أن يعمل على ربط جميع الهيئات الإسلامية فى جميع الأقطار برباط واحد ، وأن يوثق بينها فى الاتجاهات إلى الغاية الكبرى التى هى غاية هذا المؤتمر ، وغاية المسلمين أجمعين . وإن ذلك لأول عمل إيجابى فى سبيل الوحدة . وهنا لابد من إشارة يقتضيها الموضوع بالمناسبة ، فقد اهتم الكاتب اهتماما خاصا بالإشارة إلى نسب المصلح الإسلامى الكبير جمال الدين ، فقد ذكر أنه أسعد ابادى ، وأن الناس ينسبونه خطأ إلى الأفغان ، والخلاف فى هذه المسألة قديم ، فقد ذكر الأستاذ محمد عبده

مكتبتنا العربية

فى ترجمته لجمال الدين أنه ولد فى قرية أسعد آباد فى ناحية كنر بالأفغان من أسرة عريقة يتصل نسبها بالحسين بن على حفيد النبي العربى ، ولها إمارة على مقاطعة صغيرة فى الأفغان ، ومن هنا كان نسب الأفغانى ، ثم جاء الشيخ مصطفى عبد الرازق فذكر فى ترجمته لجمال الدين أنه فارسى الأصل ، أفغانى النشأة ، وكتب الكاتب العراق الأستاذ عبد الكريم الدجيلى مقالا بمناسبة نقل رفات جمال الدين فى عام ١٩٤٤ أثبت فيه أن جمال الدين إيرانى ، ولا صلة له بالأفغان ، ومن قبل هذا أصدر ميرزا غلام حسين خان أستاذ اللغة الفارسية بالجامعة الأمريكية ببيروت كتابا أثبت فيه نسب جمال الدين إلى إيران ، وقال إنه ليس بالأفغانى .

وكل هذا كلام يحتمل فى ميدان التحقيق العلمى ، ولكن أجدى من هذا كله أن نأخذ بتوجيه الأفغانى نفسه فى هذا المقام ، فقد سأله أحد الكتاب فى يوم أن يملى عليه ترجمة لحياته لينشرها على الناس ، فقال له الأفغانى : وماذا يفيد الناس من أننى فلان الذى ينتهى نسبه إلى فلان ، كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أننى كنت أحتفظ من قبل بجبة ثانية ، فلما تتابع نفيي من قطر إلى قطر أصبحت أكتفى بجبة واحدة . وكان الأفغانى يقول : إننى رجل مسلم ، فكل بلد من بلاد الإسلام هو بلدى ، وكل شعب مسلم هو شعبي وأهلى ، فهل لنا أن نأخذ فى أمورنا بتلك النظرة العالية التى تسمو على الإقليمية الضئيلة ؟ !

الإسلام فى نظر مجلة أمريكية :

ومن هذا الجو النقى ننتقل بك إلى جو قد نراه خانقا ، ولكن لا بد من أن نجتازه فى صبر ، فقد نشرت مجلة «لايف» الأمريكية فى أحد أعدادها الأخيرة استطلاعا صحفيا حشدت فيه عددا من الصور زعمت أنها تمثل حقيقة الإسلام وحياة المسلمين ، وقد بدأت المجلة استطلاعها بصور لجامع مزخرف الجدران فى أصفهان ، ثم صورة للقرآن الكريم ، ثم أوردت عدة صور تمثل مشاهد الحج ، وهى صور التقطتها المجلة من الزوايا التى تتفق وأغراضها ، على أن الأمر إلى هنا مما يحتمل ، ولكنها انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن عادات المسلمين ، فهذه صورة لتكفين ميت ، وتلك صورة للاحتفال بختان طفل تضم رجلا مطربشا ورجلين بالكوفية والعقال ، وامرأة تلبس لباسا بدويا ،

مكتبتنا العربية

ثم رجلا رابعا يعزف على العود، وصورة ثالثة لما سمته بحلقة الذكر، وهى تمثل درويشا يرقص، ومعه ثلاثة يصفرون فى الناى، ورابع يضرب على الدف، ثم صورة قالت المجلة: إنها لفريق من الشيعة وهم سائرون فى الطريق يضربون أجسادهم بالسيوف، ويشدون شعورهم، ويبكون وينوحون، ثم زعمت المجلة أن هذه الصور كلها صورة صادقة للحياة الدينية للمسلمين فى بلادهم.

وليست هذه الشناعة الصحفية بأول افتراء تصطنعه المجلات الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين، ولن تكون آخر افتراء فى هذا الباب، فأنها حملات مغرضة لها أهداف، وإذا علمت أن المصور لهذا الاستطلاع هو اليهودى « دافيد » أدركت أنها الصهيونية التى تبذل المال والجهد لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين فى العالم الخارجى، ولتصويرهم فى صورة المشعوذين والحواة، والبدو الذين لا يزالون يضربون فى مجاهل الحياة، ويعيشون على الخرافات والخزعبلات.

ونحن لا نعجب أبدا أن يكون هذا من دعاة الصهيونية تارة، ومن أهل التعصب الصليبى تارة أخرى. ومن أفن الرأى أن نفزع من هذا، أو أن نتثنى معهم فى مناقشة قوامها الحجة والمنطق، وتلمس الحقيقة لوجه الحقيقة، فأن الغرض يعمى ويصم كما يقولون، وهؤلاء الناس يعلمون الحقيقة، ولكنهم ينشدون تقبيح المسلمين، والتشنيع عليهم فى المحافل العالمية، وإذا كان لنا أن نقول شيئا فى هذا المقام، فأننا ننبه الهيئات الإسلامية إلى تعقب مثل هذه السخافات، وفضح تلك المؤامرات الصهيونية والصليبية حتى لا تترك مجالا تنفث فيه سمومها، على أن هناك واجبا إسلاميا أكبر، وهو مقاطعة تلك المجلات المغرضة، والعمل على أن لا تجد لها بابا تدخل منه إلى إفساد العقول، وتشويه التاريخ.. إننا أشد ما نكون حاجة إلى دعاية إسلامية تكشف للعالم عن عبقرية الإسلام وحقيقته، فهل نحن فاعلون؟ ومتى يكون هذا؟ !

محمد فهمى عبد اللطيف

مكتبتنا العربية

العقاد فى الميزان

لمناسبة كتابه عن معاوية

وقع فى يدى كتاب شهرى من السلسلة التى تصدر عن دار الهلال بتاريخ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ ويناير سنة ١٩٥٦ ، وهو العدد الثامن والخمسون ، وضعه الأستاذ الباحث الأديب عباس محمود العقاد بعنوان (معاوية بن أبى سفيان فى الميزان) ، وبما أننى أحب هذا النوع من البحث فقد فرغت نفسى من شواغلها حينا ، ثم بدأت أقرأ فى هذا الكتاب ، وما كدت أسير فيه حتى وجدتنى يكاد يلبس على الأمر فيما أخذت من أدب الإسلام ، وتحقيق الأعلام ، وتحرى رجال الدين الكرام ، مما يصوره فى بعض نواحيه قول الشيخ اللقانى :

وأول التشاجر الذى ورد ... إن خضت فيه ، واجتنب داء الحسد

وذلك صيانة لكرامة قوم حملهم الله سبحانه الدين ، وجعلهم لرسوله أنصارا وحواريين ، وصور بهم أخلاق الإسلام وأدبه ، وتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتلاميذه ، فوجبت المحافظة عليهم تقديرا لكل هذه النواحى الكريمة ، وهذا معنى دينى يغفله كثير من الناس ، ثم هو معنى فلسفى خلقى يتصل بمعنى الضبط والتحرى فى نقل الأخبار حتى يمكن البناء عليها ، وترتيب ما يفكر فى ترتيبه بمقتضاها .

والدعاوى ما لم يقيموا عليها ... بينات أبناؤها أدعياء

لقد طال العهد بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل كثير من الدخيل فى أخبارهم ـ رضوان الله عليهم ـ مما دسته فتن التفريق بين جماعات المسلمين من السبأيين والمجوس وغيرهم من أعداء الإسلام ، فوجب رفض كل خبر لا يتفق مع ما هو الأصل فى أنباء هاته المدرسة الكريمة التى نزع الله من قلوبها الغل والحسد ، بعد أن نزغ الشيطان بين بعض أبنائها وبعض ، إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم .

والأستاذ العقاد لم يكتف بتضليلات التاريخ وأسلوبه الهادئ فى البحث مع تضليله الناس ، وصرفه إياهم عن الحق فى كثير من رواياته عمدا أو خطأ ، ولكن

مكتبتنا العربية

الأستاذ تحامل ثم تحامل، وخيم على القارئ بسفسطات يخرج منها وهو سيئ الظن بصحبة هـذا النبي ، ضعيف الحماسة نحو دينه السماوى ، فاتر العقيدة فى تخريجه ، كما تسيء الظن برجل عظيم تعبث الفوضى بأصدقائه والحافين به ، وهو أحرص ما يكون عليهم ، وهم أحرص ما يكونون على الأخـذ من مزاياه ، والانتفاع بما آتاه الله .

إن القـارئ لـكتاب العقاد ليخرج منه وهو مبغض لهؤلاء الناس الذين حرصوا على الدنيا ـ فى زعمه ـ حرصا سلبهم الدين والضمير والمروءة ! وجعلهم يستبيحون كل وسيلة إلى غاياتهم، ولو كانت قتل الأبرياء من البررة الأصفياء ، أوالدس والوقيعة والمشى بالنميمة أو توسيد الأمور إلى كل مجرم لئيم ، يخرج منه وقـد نفض يده من هذا الرعيل الأول ، فأنه مشترك الصفات فى الأعم الأكثر ، وقد تطرق الفساد الفاسد إلى هـذا الذى كان يصطفيه الرسول صلى الله عليه وسـلم ويجعله فى خاصته من الـكرام الـكاتبين ، ويدعو له أن يهديه الله ويهدى به ، وأن يعلمه الـكتاب والحساب ويقيه العذاب . فأذا كان هذا قد تورط فى تلك المظالم والظلمات ، فـما بال غيره من أصحاب هذا النبي ؟ وإذا كان هذا شأن الصفوة من الرعيل الأول الذين يفتخر بهم الإسـلام ويعول عليهم فى الفتوحات والانتصارات ونشر الدعوة الإسلامية ، فـما شأن من جاء بعدهم ثم من جاء بعدهم وهكذا؟

إن العقاد ـ أصلح الله شأننا وشأنه ، وهدانا وإياه إلى مسالك الحق ـ قد جنى فى هذا الـكتاب على الدين وعلى العـلم جناية ، تدعونا ونحن رجال الدين والعلم أن ننبه إليه وأن نحذر منه ، والدين والعلم فوق كل اعتبار ، والحـق يعلو ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولـكن المنافقين لا يعلمون .

وإن الذى تعجب له حقا أن الأستاذ العقاد يعترف لهذا الصحابى الجليل اعترافات فى ثنايا كتابه كان فيها الـكفاية لأن يصلح ميزانه ، ولـكنه لا ينتفع بها فى تخفيف وطأته ، والتحامل على صاحبه . وكأنما يريد بذلك أن يلاطف القارئ حتى لا يمل هـذ السباب ، ويجعل من ذلك حجة له عند تلاحم الحجاج والاحتجاج ، وليظهر بذلك إنصاف التاريخ فى شيء لا سبيل إلى المـكابرة فيه . إنه يدس كل ما يفلت منه من ثناء على هذا الصحابى الجليل بين السموم الفاتـكة فيدسيه بها ، ويخفى معالمه بين طياتها ! !

لقد قال مثلا فى صفحة ١٧٤ فى خاتمة فصل النشأة والتكوين :

« ومن تحصيل الحاصل أن يقال : إن معاوية يعـلم من فقه دينه ما لا بد أن يعلمه

مكتبتنا العربية

رجل كتب للنبي وحضر مجالسه وحضر عهده كله وعهد خليفته من بعده ، ومرت به الأقضية التي فصل فيها ولاة الأمر على مسمع منه ، وراجع الفقهاء من الصحابة فيما أشكل عليه بعد ذلك من أشباه تلك الأقضية ، فهو على نشأته الجاهلية والإسلامية لم يقصر في معارف دينه ودنياه عن الطليعة بين نظرائه من السادة الأمويين والقرشيين » .

ويقول في صفحة ١٧١ من ذلك الفصل :

« ومعاوية بعد إسلامه لم تثبت عليه كلمة ولا فعلة تنقض تصديقه بدينه ، ورعايته لفروضه وشعائره . كان يصلي ، ويصوم ، ويزكي ، ويحج ، ويقرأ القرآن ويستمع إليه ، وكانت كل لفظة فاه بها وأحصيت عليه في مرض الوفاة تدل على الإيمان بلقاء الله . وعلى الإيمان بالجزاء في العالم الآخر . . . »

فليته اتخذ من هذه الأصول المحكمات وأمثالها ما يتفق معها ويلائمها من أخبار المؤرخين المتضاربين ، ولا يكون من الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ولا كالذي يأخذ من الأخبار ما يوافق هواه ، ويترك ما عداه ! . ولكنه بدأ كتابه « بأن معاوية كان رجلا قديرا ، ولم يكن بالرجل العظيم [١] ، وبأنه يستطيع أن يعلل جميع أعماله بعلة المصلحة الذاتية أو مصلحة الأسرة والعشيرة »[٢] . ثم ختمه في فصل الميزان « بأن أحدا لو أراد أن يمحو من سجل معاوية كل ما عمله لنفسه ولبنيه لما بقي في هذا السجل عمل واحد تطول اللجاجة فيه حول النيات . وبأنه كان قويا ، لا مشاحة في وصفه بالقوة على مثالها ، ومثالها أنك تصوغها في خيالك على صورة من الصور فتحضرك صورة الجمل الصبور ، ولا تحضرك صورة الأسد الهصور » [٣] . ثم كان مجموع ما بين البدء والختام يدور حول الانتقاصات والتشنيعات والتبشيعات إلا فيما لابد من الاعتراف به مما لا سبيل إلى إنكاره ، ولكن على نحو يمحو قيمته ويرده إلى مثل ما ترى من التصوير . فهل هذا كان معاوية بن أبي سفيان ؟ وهل ذلك مقتضى البحث في الرجال ؟ وهل تلك المصادر التي كان يستقي منها مما ينبغي أن يطمئن إليه رجل يواجه الناس بمشكلات مسائل التاريخ في نواحيها الحساسة التي تلامس العقائد ، وتتصل بالديانات ؟ .

---

(١) ص ٢٥ معاوية بن أبي سفيان .

(٢) ص ٢٦ منه .

(٣) ص ٢٠٦ .

مكتبتنا العربية

إن خيرا من هذا كله ، وأقرب إلى الصدق والتصديق . . ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان مما لا يقل ثبوتا عن هذه المفتريات التى اخترعتها المذاهب والعصبيات بين محتالين دجالين ، يستبيحون الكذب على الله ورسوله والخيرة من المؤمنين ، إن صح أن للافتراء ثبوتا ، فكيف إذا كانت شهادة النبي وأصحابه والتابعين والعلماء الثابتين المحققين هذه الثابتة ، وما عداها إفك مفترى ؟ .

إن التاريخ خبر ، وكل خبر يحتمل الصدق والكذب ، فوجب ألا يقبل منه إلا ما يرويه عدل ضابط عن مثله عن مثله . . . ممن تجردوا عن كل هوى وشهوة ، وهيهات ثم هيهات أن يصح ذلك فى أمثال هذه الخزعبلات . إن الصحابة كلهم عدول فى مذاهب العلماء جميعا ، ولا يكون العدل ضعيفا فى خلقه ، ولا مؤثرا لدنياه على دينه ، ولا مقدما نفعه المادى ونفع أهل بيته على الصالح العام ، ولا سيما إذا كان من الولاة والحكام . ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ألا رغم أنف رجل حاول أن ينتقص واحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المذكورون أولا وبالذات ، والمقصودون قبل كل أحد بالخير والوسط فيما ورد من الآيات ، مثل قوله عز اسمه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله سبحانه : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) . وقد قامت الأدلة على أن الله يغفر لمن أساء منهم فأنهم جميعا غير معصومين ، والعصمة لا تكون إلا لنبي ، فمن زل منهم — ولكن لا بالمعنى الذى يسوقه العقاد وأمثاله — فزلته مغفورة مغمورة جزاء ما خلصت نياتهم ، وجاهدوا مع رسول الله فى الله ، وجدوا فى نشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلولاهم لما كان للاسلام أثر يذكر . وهذا معاوية الذى يقدح فيه القادحون ، لقد أخلص لله وجاهد فى سبيله وفتح فتوحات سيمر بك الحديث عنها ، وقد عرفها كل من قرأ فى التاريخ الإسلامى أو سمع به ، ولبعض هذا المعنى أجاب الامام الربانى عبد الله بن المبارك — وقد سئل : أيهما أفضل ؟ أمعاوية بن أبى سفيان أم عمر بن عبد العزيز ! فقال : « إن الغبار الذى دخل أنف معاوية فى جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز . ألم يصل خلف النبي صلى الله عليه وسلم فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : سمع الله لمن حمده ، ويقول معاوية : ربنا لك الحمد » . وأراد بذلك أن معاويه وأمثاله ممن صلوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يسمع الله لهم وأن يكون معهم ، ومن كان كذلك كان خيرا ممن عداه لأن عناية الله بأمره مكفولة .

مكتبتنا العربية

ومن ذا الذى يستطيع أن يعقب على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه و يمينه شهادته » أخرجه أحمد والشيخان .

ومن ذا الذى يجرؤ على قوم يقول فى شأنهم محمد صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقد فهم حفاظ الإسلام من هذه الأخبار ماتدل عليه من طهارة القوم ونزاهة ساحتهم فى الأعم الأكثر من أحوالهم ، وفى المهيع الواضح من أمرهم .

قال الحافظ الكبير الخطيب البغدادى : إن الأخبار فى هذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما فى نص القرآن ، و جميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له (١) وأطال فى ذلك المعنى .

ولعل التعميم فى قوله «لايحتاج أحد منهم» الخ لا يتناول معاوية عند العقاد ، أو لعل رأى هذا الحافظ مما يقع فى نفسه موقع الاشمئزاز ، لأنه رأى جامد لا يعرف إلا سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو لعله يقول : إنه يخالف ما قال غيره من الأئمة أو العلماء ، والكل باطل بالبداهة .

إن معاوية صحابى ما ينكر ذلك أحد ، والحافظ البغدادى مصدق لما أجمع عليه الأئمة والعلماء ، لا يختلف أحد منهم إلا أن يتكلم فى بعض الفروع الثابتة لخروجه على على رضى الله عنه ، وهو بالإجماع مجتهد يذهب بعضهم إلى أنه مخطئ له أجر فى اجتهاده ، و يذهب بعضهم إلى أنه مصيب له أجران ، و يقول عمر بن العزيز — وقد جرى الحديث أمامه بشأن الخصومة — ما قال الله سبحانه : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » فرحم الله امرءا عرف قدر نفسه ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعدل عنها إلى البدعة !

أما الإمام المجتهد الحجة ناصر الدين والسنة : ابن تيمية ، وتلميذه الحافظ الذهبى ، فأليك

---

(١) راجع مقدمة العواصم من القواصم التى وضعها الأستاذ المجاهد المخلص محب الدين الخطيب على هذا الكتاب القيم للامام ابن العربى ص ٣٢ من هذه المقدمة .

مكتبتنا العربية

بعض ما نقله الحافظ الذهبي فى كتابه (المنتقى) الذى لخص به كتاب منهاج السنة وهو الكتاب الذى يرد به ابن تيمية أقوال أهل الرفض والاعتزال (١) :

« مذهب أهل السنة أن ما ذكر عن الصحابة والتابعين من السيئات كثير منه كذب ، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه ، ولكن لا يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم ، وما قدر أنه كان فيه ذنب من الذنوب فمغفور لهم : إما بتوبة ، وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفرة ، فأنه قد قام الدليل الذى يجب القول بموجبه أنهم من أهل الجنة ، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة . ولو لم نعلم أنهم من أهل الجنة لم يجز لنا أن نقدح فى استحقاقهم للجنة بأمور لا نعلم أنها توجب النار ، فأن هذا لا يجوز فى آحاد المؤمنين الذين لم نعلم أنهم يدخلون الجنة . فكيف يجوز ذلك فى خيار المؤمنين . والعلم بتفاصيل أحوال كل واحد منهم ظاهرا و باطنا وحسناته وسيئاته واجتهاداته أمر يتعذر علينا معرفته ، فكان كلامنا فى ذلك كلاما فيما لا نعلمه ، والكلام بلا علم حرام . فلهذا كان الإمساك عما شجر بين الصحابة خيرا من الخوض فى ذلك . . . لأن كثيرا من الخوض فى ذلك أو أكثره كلام بغير علم ، وهو حرام لو لم يكن فيه هوى ومعارضة للحق المعلوم ، فكيف إذا كان كلاما لهوى يطلب فيه دفع الحق المعلوم . ومن علم ما دل عليه الكتاب والسنة من الثناء على القوم ورضا الله عنهم واستحقاقهم الجنة وأنهم خير هذه الأمة التى أخرجت للناس ، لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة : منها مالا يعلم صحته ، ومنها ما يتبين كذبه ، ومنها مالا نعلم كيف وقع ، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه ، ومنها ما يعلم توبتهم منه . . ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره . فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق » .

ذلك كلام نفيس قيم إلى الغاية ، لا يترك لقائل مجالا فى نقد ، ولا جرأة على حماة الإسلام .

وقد يظن القائل أنه ينظر من ناحية دينية ، وانه على ذلك لمنطق علمى فلسفى لا يدع لمتأمل مجالا إلى المعارضة . ولولا أننى بصدد مقال فى مجلة الأزهر الغراء لحالته بدقة

---

(١) راجع ص ٢١٩ من كتاب (المنتقى من منهاج الاعتدال) ، وهو الذى نشره وعلق حواشيه الأستاذ محب الدين الخطيب .

مكتبتنا العربية

ولرددت به على العقاد تفصيلا ، ولعل المقام أهون من ذلك ، وفى غير حاجة إليه .

إن هذا هو ما نقوله نحن معاشر رجال الأزهر وننادى به وندعو إليه ، ولو كره الحاسدون وحاولوا التهويش .

وإليك جزءا من كل مما قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى معاوية وحده من بين الصحابة ، وهو كلام يمثل روح الإسلام والمنطق ، قال - وهو بصدد الرد على قول الرافضة : إن معاوية طليق بن طليق(١) - : « هذا ليس بصفة ذم ، فان الطلقاء غالبهم حسن إسلامهم : كالحارث ابن هشام وابن أخيه عكرمة وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية ويزيد بن أبى سفيان وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامهم (٢) وولاه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن يحابى ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا كان يحب أبا سفيان ، وقد حرص على قتله لما جاء به العباس(٣) ، ولو كان ممن يحابى لولى أقاربه من بنى عدى . ثم إن معاوية بقى على دمشق وغيرها عشرين سنة أميرا وعشرين سنة خليفة ، ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه قلوبهم ، حتى انهم قاتلوا معه عليا وعلى أفضل من أمثاله وأولى بالحق منه ، وهذا يعترف به غالب جند معاوية . ولكنهم قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر على فيه قتلة عثمان ، وفيه ظلمة ، ولهذا لم يبدأوا بالقتال حتى بدأهم أولئك دفعا لصيالهم وقتال الصائل جائز . . . وعلى كان عاجزا عن قهر الظلمة من العسكرين ، ولم يكن أمراؤه وأعوانه يوافقونه على كثير مما يأمر به وأعوان معاوية يوافقونه » .

وقال فى دفاعه عن مقاتلته لعلى [٤] (الباغى قد يكون متأولا معتقدا أنه على حق وقد يكون بغيه مركبا من تأويل وشهوة وشبهة وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه من الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية) وذكر الحكاية التى سأسوقها لك فيما بعد .

---

(١) ص ٢٤٨ من المنتقى .

(٢) وقد اعترف العقاد بذلك فيما نقلته لك آنفا .

(٣) كان ذلك أثناء فتح مكة وقد فصله التاريخ .

(٤) ص ٢٤٩ منه .

مكتبتنا العربية

هذا بعض ما ينظر به السلف من أمثال ابن تيمية والحافظ الذهبي إلى الصحابة و إلى معاوية رضى الله عنهم ، فهل هذا أم ما يهول به العقاد من تفظيع أمره والجرأة عليه وعلى أمثاله بأخبار موضوعة وأحكام مصنوعة لايرضاها الله ولا رسوله ولاصالح المؤمنين .

لقد اقتضت تعاليم الإسلام ذلك الأدب ، وقد استوجبه العقل السليم الذى لايقبل إلا منطقا سليما . إن العقاد نفسه يرد أحاديث البخارى ومسلم و يتأول فى آيات الكتاب الكريم هو ومدرسته المجددة ، إذا خالف شيء من ذلك هوى فى نفوسهم ، فكيف لايردون أمثال أخبار تنسب إلى ابن قتيبة والمسعودى ممن يأخذون عن المضللين والفاسقين[١]

وعلى ذلك فأن معاوية ليس كما يقول العقاد وأنصار العقاد ممن لا يبالون أن يزعزعوا عقائد المسلمين فى أئمتهم وسلفهم الأولين ، لأنهم يتناولون الأمور من ناحية التروبج والتهريج ، لا يرقبون فى مؤمن إلا ولاذمة وأولئك هم المعتدون .

« يتبع »

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

محمود الشواى
المفتش بالأزهر

---

(١) (المجلة) ابن قتيبة مظلوم بما نحله المغرضون كتاب (الإمامة والسياسة) ، فهو ليس له ، وفيه خبر بناء مدينة مراكش ، وكان بناؤها بعد موت ابن قتيبة بدهر طو يل ؛ فالإمامة والسياسة مدسوس عليه . أما المسعودى فن شيوخ الشيعة و يذكرون له مؤلفات فى أصولهم .

مكتبتنا العربية

أصول الاسلام

والتقريب بين الأمم وشرائعها المختلفة

شرع الله الإسلام خاتما للأديان ، وعهدا خالدا للانسان ، فلم يدع أصلا من الأصول المقربة بين العقائد ، الموحدة بين النزعات ، الجامعة بين مختلف المقاصد والغايات ، إلا أتى به الإسلام على قدر ما تسمح به الفطرة السليمة ، والطريقة القويمة ، والخطة المثلى ، فدعا إلى تحكيم العقل فى كل خلاف ، والرجوع إلى النظر فى كل موضوع تعترك فيه الموروثات القديمة ، والميول الجديدة .

وهو لأجل أن يرفع من طريق العقل الخالص كل ما يعترضه من العوائد الوهمية أنحى على مبدأ التقليد فنقضه ، وعلى أصل تقديس القديم الرث فهدمه ، ونعى على الواقفين مع هاتين العقبتين جمودهم . فقال تعالى زاريا بالمقلدين « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، وقد بالغ فى الزراية بالتقليد إلى حد أن سماه عبادة ، وهذا نهاية ما يمكن أن توصم به نزعة من النزعات الخاطئة فقال تعالى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » . وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى اتخاذهم أربابا أنهم أخذوا كل ما سمعوه عنهم بدون جدال أو تعقل .

كل هذا ليتوسل الإسلام به إلى تخليص العقل من العوائد القائمة فيه ، وإذا تم للأمة أن تحترم حكم العقل الكامل المستضىء بنور العلم ، سهل إقامتها على الطريق السوى ، وتوجيهها إلى باحات الكمال الصورى والمعنوى ، من أقرب الطرق ، وأبعدها عن القواطع ، فأصبحت أرواحها خالصة من كل شائبة عبودية ، فأن لاح لها أصل جديد فيه خير أسرعت إليه بأوسع الخطى ولم تتأخر عن القيام عليه ، ولم تجد فى نفسها حرجا من الاندفاع فى تياره ، بل رأت أن من الدين أن تتجه إلى وجهته ، ابتغاء الاهتداء إليه وحيا إلهيا ، وإلهاما ربانيا .

مكتبتنا العربية

هذا على خلاف الأمم الجامدة على القديم البالى ، المقدسة لكل ما نقل عن أسلافها بدون نظر فيه ، فهى كلما لاح لها أصل فيه حياتها لم تزنه بميزان عقلها ، ولم تنظره بعين مصلحتها ، ولكن تنظر إليه من خلال تقاليدها ، فإن رأته ينطبق على ما ورثته من أقوال أسلافها اتبعته مرتابة ، ولم تحسن الاندفاع فيه ، شأن المستعبد المثقل بالقيود والأغلال ، وإن لم تجده ينطبق على ما عندها من هذه الأقوال ثارت عليه متأثرة بعوامل الجمود ، وربما كان الأخذ مما لا يبطل شيئا من أصولها الأولية ، ولكنها لشدة كلفها بالقديم والقدماء ترتاح إلى معارضة كل جديد ، لا لعلة غير كونه جديدا ، لم يعرفه آباؤها من قبل .

هذا من أكبر عوامل انحلال الأديان ، وصيرورة أهلها فى مؤخرة الأمم فى كل ضرب من ضروب مظاهر الحياة ، حتى الأخلاق التى يفخرون بأنهم أخص القائمين بحقوقها ، والمهيمنين عليها ، فيكثر فيهم الختل والخطر ، والكذب والنفاق ، وسوء الملكة واللؤم ، وينتهى بهم الأمر لأن يعدهم موطنوهم خطرا على الأخلاق والاجتماع ، فانظر كيف يدهورهم جمودهم على التقليد إلى عكس ما كانوا يرمون إليه بتشددهم فيه .

من الأمور التى رمى الإسلام بها إلى تقريب الأمم المختلفة ، تحطيم صنم هذا التقليد الأعمى ، لأن العقول متى تخلصت منه اندفعت إلى قبول كل ما تراد موافقا للعقل ، ملائما للحياة ، فيميل بعضها إلى بعض كنتيجة طبيعية للاختيار الأحق والأحسن ، والعقل المطبوع فى جميع الأفراد واحد ، فيكون ذلك مقدمة لاقتراب بعض الأمم من بعض ، واجتماعهم جميعا على بساط واحد من البحث الحر ، وتكون النهاية توحدهم فى المعقولات والعقائد ، لأن الحقائق لا تتعدد كما هو الصحيح .

ومن الوسائل التى تذرع بها الإسلام للتقريب بين الأمم المختلفة ما نص عليه كتابه فى مسألة الإيمان برسالة محمد خاصة ورسالات المرسلين عامة ، فقد صرح سبحانه وتعالى أنه لم يرسل خاتم رسله بدين جديد ، ولكنه أرسله بالدين الذى أنزله على جميع من تقدمه من المرسلين فقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع (أى لتوحيد الدين فادع) واستقم

مكتبتنا العربية

كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير » نصت هذه الآية على أن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كانت إعادة ما سبق به الوحى على ألسنة جميع المرسلين من الدين الحق والصراط السوى ، فحرفه أتباعهم وخرجوا به عن حقائقه .

ولا مشاحة فى أن هذا التصريح يقلل من تشدد أصحاب الملل فى مناقضة الإسلام ، ويلفتهم إلى ما يقول رسوله ، ويحملهم على النظر فيما بين أيديهم من الكتب ، وكل هذا مما يقرب بين الأمم ويجمع بين متفرقها ، لذلك جمع الإسلام فى حظيرته فى أقل من قرن بين أمم كانت على أشد ما تكون من الاختلاف والتباين ، فبعد أن كان من المحال أن ترى الفارسي إلازردشتيا ، والهندى إلا بوذيا ، والصينى إلا كونفشيوسيا أو لاوتسيا ، والسودانى إلا فتشيا ، أصبحت ترى حظيرة الإسلام جامعة بين جميع هذه الأمم .

ومما قصد به الإسلام إلى التقريب بين الأمم إيجابه على الآخذين به الإيمان بجميع رسل الله ، وعدم التفرقة بينهم ، والإيمان بما جاءوا به من الكتب إجمالا فقال تعالى : «قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وان تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » .

فى هذه الآية نص صريح على وجوب الإيمان بجميع رسل الله وجميع كتبه التى أنزلها عليهم بلغات مختلفة ، وهذا أبلغ ما يعرف من الأصول المقربة بين البشر ، فاذا أجلت نظرك فى جميع الأمم لا تجد دينا لواحدة منها يعنى بدين واحدة أخرى ، فما ظنك بأديان الأمم كافة ، على حين ان المسلم لا يستطيع أن يكفر برسول أرسل لواحدة منها فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

فالدين فى نظر الإسلام كل لا يتجزأ ، أساسه الإيمان بالله وبجميع رسله ، من بلغتنا أسماؤهم ومن لم تبلغنا (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) . فلا أتخيل

مكتبتنا العربية

أن فى العالم أصلا عمليا يجعل الوحدة الإنسانية ماثلة فى عقلية أمة ونفسيتها مثل هذا الأصل ، فهو وضع إلهى محض ، يكشف عن إلهيته سمو مقصده ، وبعد غايته ، فهو من هذه الناحية ليس فى حاجة إلى دليل يؤيده ، فهل بعد هذا غاية فى قطع ذرائع الخلاف بين الأمم ، وحسم مادة التلاحى بينهم ؟ أليس هذا بجملته وتفصيله يجعل الإسلام دينا عاما ، ويهيئه لأن يكون نقطة اتصال بين الجماعات البشرية ، فتسكن الأرواح منه إلى حظيرة عقيدة عادلة لا تذهب بأصحابها مذاهب الجور فى هضم حقوق الأمم ، ولا تنزع بهم إلى تجريدها من خصوصياتها . إنك بينما ترى أتباع الأديان الأخرى يتنازعون أديانهم فيكفر بعضهم بأنبياء بعض ، ويهزأ الأولون بكتب الآخرين ، والآخرون بكتب الأولين ، تجد المسلمين فى مستقر من العدل مكين ، يؤمنون بجميع رسل الله وكتبه ، لا يبخسون أمة حقا ، ولا يهضمون لطائفة واجبا إلا بأمر واحد وهو أن يعدلوا فيؤمنوا بجميع كتب الله ورسله ، فمن لم يقبل ذلك من الناس كانوا من أهل الشقاق المؤثرين للخصام على الوفاق ، وليس هذا من الإسلام فى شىء .

فلا مشاحة بعد هذا البيان فى أن الإسلام هو الدين العام ، المؤاخى بين جميع الأنام ، وكل ما حدث بعده بأكثر من ألف سنة من المذاهب التى غرضها التوفيق بين الأديان تحت أسماء مختلفة فلن تبلغ مبلغه فى هذا الباب .

أما الفرق بين الاسلام وهذه المذاهب ، فهو أن الاسلام عرض للكتب السماوية الموجودة بين أيدى أصحابها ودل على وجوه التحريف فيها ، أو على سوء تأويلهم لها ، ودعا الى الكتاب الذى جمعها جميعا ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن الكريم ، وأما تلك المذاهب فترمى الى توحيد الأديان بتأويل النصوص التى تختلف عليها تذرعا إلى التوفيق بينها ، وهذا التأويل يشعر بتكلف شديد ، وعنت ظاهر بالالفاظ والعبارات ، ومثل هذا العنت الظاهر لا يبتنى عليه إيمان ، فتكون النتيجة تشكيك الناس فى جميع الأديان .

ومن هذه المذاهب أيضا محاولة توحيد الناس فى عبادة الله ، بحجة أن جميع الأديان تدعو للعبادة ، وهى فى نظرهم تؤتى ثمراتها على أية ضروب كانت ، أما الكتب الموجودة بين أيدى الأمم فتترك لأهلها مع كل ما بنوه عليها من أهواء وأوهام .

فالناقد البصير يرى أن مذهب الإسلام فى توحيد الأمم هو خير المذاهب ، وهو دعوتها إلى كتاب جديد شامل لجميع ما تقدمه مما لم تمسه أيدى التحريف ، ذلك لأن النقد

مكتبتنا العربية

العلمى كشف عن أحوال تلك الكتب من ناحية ضعف روايتها ، وضياع أصولها ، ما لا يستطاع معه الإيمان بها ، فتكون النتيجة الطبيعية من تقرير تركها وشأنها ، خروج أهلها عن حظيرة الأديان جملة ، ثم أن المذهب الإسلامى فى هذا الشأن أرسخ قواعد ، وأشبه بسنة الوجود ، وأقوى على حملات الشبه والشكوك ، لأنه بعد أن قرر أن الأديان كلها وحى من الله ، وأن الذين أتوا بها كلهم رسل الله ، وأن كتبها كلام الله ، عاد فقرر أن طول الزمان أوجب أن يحرف الناس عن تلك الكتب ، وأن يتسامحوا فيها بالتحريف والتبديل ، والإسلام فى هذه القضية موافق للنقد العلمى كما رأيت .

بعد هذا أخذ الإسلام يدعو الناس إلى كتاب يجمع ما فى تلك الكتب ويزيد عليها ما اقتضاه وما يقتضيه تطور الأمم ، ووعد بحفظه من التحريف والتبديل على مدى الأجيال .

كان شأن الإسلام فى هذا كشأن عالم نبغ فى أمة كانت من علومها على مذاهب شتى ، كل طائفة منها تنابذ الأخرى باسم مذهبها العلمى ، وعالمها الرسمى ، فجاء هذا العالم النابغ ، فجمع ما فى الكتب الموجودة من الحقائق المقررة فى كتاب واحد ، وزاد عليها ما فتح الله به عليه ، ثم دعا إلى تداول كتابه المنقح ، وترك ما لديهم من الكتب الأولية المطبوعة بطوابع أزمانها المختلفة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فهل كان يستطيع هذا العالم أن يقر كل طائفة على كتابها العلمى على ما فيه مما يجافى روح العصر الحاضر ، ومما وضعه الوضاعون بين حقائقه من الأكاذيب والوساوس ؟

« أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » فأما طوعا فباستخدام العقل وإعمال الفكر ، وأما كرها فتحت ضغط الحوادث والمثلات ما

عباس طه
المحامى

مكتبتنا العربية

الاسلام ينهض بالمرأة

منذ سنوات مضت اجتمع وزير سابق بسيدة فرنسية مثقفة ، لها مكانتها الاجتماعية الملحوظة ، فهى زوجة لمشرع فرنسى كبير ، وتحدثت إليه وتحدث إليها ، وأخذا يفاضلان بين الشرق والغرب ، فقالت له : إننى أزف إليك بشرى تسر لها ، وتجعلك تعتقد أن فرنسا دائما هى رائدة الحرية ، ونصيرة المرأة ، ذلك أننا فى طريقنا الى إصدار تشريع يتيح للمرأة التقاضى دون إذن رجلها ، فأخذته الدهشة ، واستولى عليه العجب ، ونظر إليها متسائلا : أما زالت فرنسا متأخرة الى هذا الحد المعيب ؟ فقالت له : لا . إن فرنسا هى السباقة دائما إلى ما يحقق حرية المجتمع ، ونحن أول أمة تسن هذا القانون لتحرير المرأة . فقال لها : يؤسفنى ، لا بل يسرنى أن أخبرك أن الإسلام قد فرغ من ذلك منذ أربعة عشر قرنا ، فمنح المرأة هذا الحق ضمن ما منحها من حقوق ، واعترف لها بالشخصية الكاملة ، وحرية التصرف فى أموالها .

بهذا ينظر الغربيون الى الأمور ، بل بهذا ينظر بعض الشرقيين الذين ابتعدوا عن مصادر الإسلام الأولى ، فهم يرون أن كل جديد غربى ، وأن الشرق لا يملك من مواريث الحضارة ومناهج الإصلاح والتقدم شيئا قليلا أو كثيرا ، وأنه يعيش عالة على الغرب فى ذلك ! !

نعم ـ جاء الإسلام ، والأمم القديمة تستعبد المرأة ، وتستبد بها ، وتبسط عليها سيادة الرجل وسلطانه طول حياتها ، وفى كل شئونها .

كانت سلعة تباع وتشترى ، تورث ولا ترث ، وتُملك ولا تملك ، وكان البعض القليل ممن يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه ، وكانوا يجعلون ذلك لزوجها أو وليها . كانت متاعا يستمتع به ، لا حول لها ولا طول ، مهدرة الكرامة ، قعيدة بيتها المظلم ، وسجينة حياتها الضيقة ، ثم كانت تكره على الزواج ، ولا تستشار فيمن يختار لها ، بل كانت تجبر على البغاء فى كثير من الأحيان على كره منها .

وكان فريق من أهل الجاهلية الأولى ـ إذا مات الرجل منهم عمد أخص أوليائه ، وأقرب ورثته ، فوضع ثوبه على امرأته ، وقال : أنا أحق الناس بها ، ثم إن شاء بعد ذلك تزوجها ، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، أو عضلها حتى تفتدى نفسها .

مكتبتنا العربية

جاء الإسلام ـ وبعض الناس لا يزال يبحث فى شأن المرأة ، وهل هى إنسان له نفس وروح ؟ وهل يجوز لها أن تتعلم الدين ؟ وهل تصح منها العبادة ؟ وهل يقبلها الله منها فيثيبها عليها .

جاء الإسلام ـ وبعض المجتمعات تبيح للوالد بيع ابنته ، وبعضها يرى أن له الحق فى قتلها بل فى وأدها حية « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

ولم يكن هذا شأن العرب وحدهم ، فقد كانت العادة فى أثينا حين ولادة الذكور أن يعلنوا فرحهم بذلك ، ويعلقوا إكليلا من الزيتون فوق الباب ، وفى إسبارطة كان الآباء يقتلون سبع بنات من عشر يولدن لهم .

ظهر نور الإسلام ـ والناس تعيش فى هذه الضلالات والأوهام ، وتؤمن إيمانا قويا بهذه الخرافات ، وترزح المرأة تحت وطأة هذه الأوضاع المخزية ، والتصرفات المؤسفة ، فأزال شكاتها ، وأنصف قضيتها ، وحماها من الضيم الواقع عليها ، وانتشلها من وهدة الظلم الاجتماعى الذى وقعت فيه ، ورسم لها طريقا يتفق مع طبيعتها ورسالتها . تتعاون فى سفينة الحياة مع شقيقها الرجل ، وتبنى كما يبنى ، وتساعد فى تعمير الكون . وكل ميسر لما خلق له .

وليس هذا كلاما يقال ، وعبارات تساق لترضية المرأة ، بل هى قضايا ثابتة نزل فى شأنها كتاب يتلى ، وعنونت باسمها (سورة النساء) التى افتتحها الله تعالى مخاطبا عضوى المجتمع بأنهما من أصل واحد ، ونفس واحدة ، وأن المرأة من المرء ، وكل أدماء من آدم . « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ثم أثابها على عبادتها « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وأمر بتعليمها « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » ثم ورثها من أقاربها وأزواجها « للرجال نصيب مما ترك الوالدن والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدن والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » .

وإذا كان نصيبها فى أغلب الأحوال على النصف من الرجل ، فذلك لأنها لا تلتزم بما يلتزم به : من واجبات الدفاع ودفع المهور والإنفاق على الأسرة والأولاد . بل إن بعض الباحثين قارن بين التزامات كل منهما فى الحياة ، فرأى أن فى إعطاء المرأة نصف الرجل

مكتبتنا العربية

سخاء عليها استدعاه ما يغلب على جانبها من ضعف طبيعى ، وعجز عن التكسب ، وانصراف عن جمع المال لضياع وقتها فى عوارض الإنتاج البشرى وتربية الأولاد .

أعطى الإسلام المرأة هذا ، كما أعطاها الحق فى اختيار زوجها ، ثم نبهه إلى عظيم فضلها ، وأنها خلقت منه ليسكن إليها ، ويجد أنسه فى جوارها « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وأوصاه بحسن عشرتها ، وجميل مودتها « وعاشروهن بالمعروف فأن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » . « ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم » .

ثم أباح لها جميع التصرفات المالية ، وجعل لها الولاية كاملة على مالها كالرجل سواء بسواء ، كما قبل شهادتها ، واحترم بيعتها ، واستجاب لجوارها « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء وأمنا من أمنت » .

وإذا كان الله قد أمر ببر الوالدين فقد خص الأم بمزيد من العناية ، وفصل القول فى شأنها تفصيلا يستدعى مزيد العطف عليها « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب من يسأله عن أحق الناس بحسن صحابته فيقول له : « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك »

* * *

لقد كرم الله المرأة فجعل منها أول قلب يخفق بالإسلام فى شخص السيدة الطاهرة خديجة ، وجعل ذرية الرسول ونسبه متصلا بها ، فقد شاءت إرادة الله أن يموت أبناؤه فى حياته دون عقب وألا يبقى له إلا فاطمة الزهراء التى يقول فيها : « فاطمة بضعة منى يسوءنى ما يسوءها ، ويسرنى ما يسرها » .

وهذا عمر بن الخطاب يخرج يوما ومعه الناس فيمر بعجوز تستوقفه فيقف ويحدثها طويلا حتى يقول له أحدهم : « يا أمير المؤمنين ، حبست الناس على هذه العجوز » فيقول له : « ويلك ، أتدرى من هى ؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات . هذه خولة بنت مالك التى أنزل الله فيها : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله » .

إن المرأة بين يدى الإسلام شقيقة الرجل وشريكته « إنما النساء شقائق الرجال » لها من الحق ماله ، وعليها ما عليه ، ولا فضل لأحد منهما على صاحبه ، سوى أن يقوم الرجل — بماله من حسن التدبير ، واتساع الحيلة ، واكتمال التجربة — فيتولى رياستها ، ولا ضير عليها فى هذا فهو أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها ، لا ترى المرأة العاقلة فى

مكتبتنا العربية

ذلك انتقاصا لشأنها « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » تلك هى درجة الواقع الملموس، هى درجة الرعاية والحياطة ، والرأى والمشورة ، والتعاون والمحبة، لا تجاوزها إلى استبداد الرأى ، وعنف السيادة ، درجة تفرضها سنة الوجود ، التى توجب أن يكون لكل مجتمع رئيس يسوسه ، ورياسة الأسرة لابد أن تكون للقادر عليها ، والمرأة بعواطفها وغرائزها وتركيبها لا تستطيع القيام بها قيام الرجل ، وقد فطن إلى هذا فلاسفة الدنيا ، وعلماء الاجتماع حتى فى الدول غير المسلمة . هذه كاتبة انجليزية تقول : « لا تتعلق المرأة بالرجل الذى تديره كيف تشاء » ويقول فيلسوف غربى : « لو أراد البشر تغيير نظام المجتمع وإعطاء الرياسة للمرأة لكان لهم فى طبيعتها وتركيبها ومزاجها ما يحول دون تنفيذ مرادهم » .

نعم إن المرأة قلب المجتمع ، وإن الرجل عقله ، ولا تستقيم الحياة بدون عقل يرشد ، وقلب ينبض ، وكلاهما لا بد منه للسير بالحياة إلى غايتها .

* * *

وبعد — فأننا فى مجتمع يتجاذبه تياران متعارضان : أحدهما يبالغ حتى يرجع بالمرأة الى الجاهلية الأولى ، فلا يجعل لها شأنا ، ولا يسمع لها قولا ، ويسومها سوء العذاب ، ويرى أن عليها كل الواجبات ، وليس لها حق من الحقوق . ويقابله تيار آخر يخرج بالمرأة عن رسالتها ، ويدعوها إلى هجر بيتها ، وإبداء زينتها ، وكشف حيائها .

وبين هذين التيارين نعيش، ونحاول أن نوفق بينهما، وندعوهما إلى كلمة سواء ، هى كلمة الإسلام الأولى التى تحفظ على المرأة شخصيتها وكرامتها ، وتصون حياءها ، وتفسح لها — فى ميدان الأمومة الصالحة والزوجية الرشيدة — ما تبغيه لنفسها ومجتمعها من رفعة شأن وبلوغ غاية . وإنه إذا استجابت المرأة الى الدعوات المتطرفة التى تقرع سمعها فى كل يوم، وهجرت منزلها دون حاجة فى دنيا أو دين، وتركت مملكتها العظيمة ، وانصرفت إلى ميدان الرجل تؤدى واجبه ، فسيضطرب نظام المجتمع ، ويتداعى بنيانه ، بجيش اختلط نظام وحداته ، وانصرف بعضها ليؤدى واجب الأخرى ، تاركا مكانه دون حماية أو دفاع .

لقد أعطى الإسلام المرأة كل شىء إلا أن تكون رجلا ، كما أعطى الرجل كل شىء إلا أن يكون امرأة ، وكما لعن المخنثين من الرجال ، فقد لعن المترجلات من النساء .

زكريا البرى

مكتبتنا العربية

الأمهات

كلمة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

لمناسبة عيد الأمومة

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ، ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فأنه كان للأوابين غفورا » .

وروى أحمد وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى قال : « هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل باليمن أبواك ؟ قال : نعم ، قال : هل أذنا لك ؟ قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام : فارجع إلى أبويك فاستأذنهما ، فأن فعلا فجاهد وإلا فبرهما ، فأن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد » .

وروى أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أنس « أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : هل بقى من والديك أحد ؟ قال : أمى ، قال : قابل الله فى برها ، فأذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » .

وروى أحمد وأبو داود والترمذى عن معاوية القشيرى قال : قلت يارسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أمك ، قلت ثم من ؟ قال : أباك ثم الأقرب فالأقرب .

مكتبتنا العربية

من هذا يتبين عظم ما للوالدين على الولد من الحقوق ، فأنها أعظم وآكد من حقوق أى رحم أو قرابة أو جوار ، وأن بر الوالدين وتكريمهما والاجتهاد فيما يحقق مرضاتهما ، أمر تحتمه الشريعة ، وتهدى إليه الفطرة الإنسانية السليمة ، وهو من أسباب هناءة الحياة ويسرها ، والاهتداء فيها إلى وجوه الصلاح والرشاد ، التى تعود بالخير على الأولاد أنفسهم قبل كل أحد ، ثم على أفراد الأسرة ومجموع الأمة .

وحق الأمهات من البر والتكريم وحسن الرعاية أوجب وأعظم من حق الآباء ، نظرا لما تتحمله الأم من العناء ، وما تتكبده من المشاق فى سبيل الحمل والوضع ، وما تبذله من الجلد والصبر والعمل الكادح والسهر المضنى ، فى تربية الأطفال وإصلاحهم وتغذيتهم وعلاجهم وتمريضهم ، وسائر ما هو مطلوب منها لتنشئة وحدات جيل صالح نافع .

تتحمل الأم فى سبيل ذلك أضعاف ما يتحمله الأب من المتاعب والمشاق والآلام ، وهذا هو السر فى أن كانت الجنة تحت أقدام الأمهات ، كما ورد فى الحديث النبوى الشريف . فسبيل الوصول إلى السعادة والفوز بنعيم الجنة إنما هو بمعرفة حق الأمهات واكرامهن واعزازهن وبذل كل مرتخص وغال لمرضاتهن .

وهذا الفضل الذى امتازت به الأم وسما به حقها على حق الأب ـ بعد اشتراكهما فى وجوب البر والاكرام وحسن الرعاية ـ قد صرح به القرآن فى آياته البينات مبينا سر هذا التفضيل ، قال تعالى فى سورة لقمان : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير » .

وقال عز وجل فى سورة الأحقاف : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .

ومن هنا كان تكريم الأمومة مما يحث عليه الإسلام ويدعو إليه ، فهو يمجد الأسرة ويقوى روابط أفرادها ، ويمكن بينهم أسباب المودة والألفة ، وهو يشجع على الزواج الذى هو خير نظام اجتماعى صالح يوصل إلى الأمومة التى هى محل التقدير والتكريم . ثم هو يشجع بالضرورة على أن يكون نسل لتكون أمومة .

وإن عزوف بعض الناس عن الزواج أو عن التناسل ، أو العمل على إحداث العقم والدعوة اليه ، كل هذا لا يتفق وتكريم الأمومة وإكبارها والاحتفاء بها .

مكتبتنا العربية

هذا ـ وان الإسلام يدعو إلى تكوين الأم واعدادها اعدادا صالحا دينيا وعقليا وخلقيا واجتماعيا ، فهى طابع الطفل ، ثم هى حاضنته ومربيته ومهذبته : على يديها ينشأ وتتكون شخصيته ، وبحسن توجيهها تبدأ وتعظم نظرته إلى الحياة .

وقد حرص الإسلام على أن يحوط الأم بكثير من عنايته ورعايته ، للدور الخطير الذى تقوم به فى بناء الأسرة ، وعمل على أن يهيئ لها الجو الصالح الذى تستطيع فيه أداء واجبها ، واهتم بحمايتها من مواطن الزلل ، وتجنيبها عوامل الانحراف وكل ما يعوقها أو يشغلها عن واجباتها نحو أسرتها وأبنائها ، وأوجب لها على الرجل راعى الأسرة معاونتها بتحقيق مطالبها ورعاية شئونها ، وتوفير أسباب العيش والراحة لها ، وأوجب لها على الأبناء من السمع والطاعة ما يسهل لها مهمتها فى تنشئتهم وتقويمهم ، ويكافئ فضلها عليهم وبرها بهم .

وقد صارت الأم ـ بفضل النظام الذى شرعه الإسلام ، وبما عمل على توفيره لها من أسباب الحفظ والحماية والرعاية ـ المحور الذى تلتف حوله الأسرة وتترابط فروعها وتستقر أمورها ، على أساس من الدين القويم والخلق المتين . وهذا هو الأمر الذى وعاه وأشاد به دستور الأمة الجديد ، فأن صلاح الأمة انما يكون باصلاح الأسرة وبنائها على أسس الفضيلة والدين والأخلاق .

وتكريم الأمومة والاحتفاء بها انما هو بتكريم المعانى النبيلة التى تتمثل فى كل أم فاضلة تسير على هدى الفطرة الانسانية السليمة ، وتقوم بواجباتها نحو أسرتها وأبنائها ، وتؤدى هذا الحق بأمانة واخلاص ، لا يشغلها عنه شاغل ، ولا يصرفها عن العناية به أى صارف .

فواجب أن تتكاتف الجهود وتتعاون القوى على العناية بالأسرة ، والعمل على اعداد الأمهات الفضليات اللاتى يحق لهن على أوطانهن واجب التكريم والاعزاز والتبجيل .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

مكتبتنا العربية

بنو اسرائيل

فى الماضى والحاضر

— ٣ —

عداوة اليهود للعرب : —

عداوة اليهود للعرب عداوة متأصلة من قديم الزمان ، دفعهم إليها الحقد الدفين وخبث الطوية . ومن عداوة اليهود للعرب أنهم أرادوا أن يسلخوا عنهم أى فضل ، فزعموا أن الذبيح إسحق لا إسماعيل، ولأجل هذا الغرض السيئ حرفوا التوراة ، ولكن الله أبى إلا أن يبقى ما يدل على هذا التحريف ، فحذفوا اسم إسماعيل ووضعوا موضعه اسحق ، ولكنهم غفلوا عن كلمة فضحتهم وكشفت عن فعلتهم الشنيعة ، ففى التوراة — الاصحاح الثانى والعشرين الفقرة (٢) « فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب به إلى أرض الموريا وأصعده محرقة على أحد الجبال التى أقول لك » و إسحق عليه السلام لم يكن وحيدا فى يوم من الأيام ، لأنه ولد ولإسماعيل نحو أربع عشرة سنة كما هو صريح التوراة (١) فهذا مما حرف قطعا . وقصة الذبح حدثت بنواحى مكة لا فى جبل الموريا (٢) وقد بقى إسماعيل إلى أن مات أبوه ابراهيم وحضر وفاته ودفنه . وحديث البخارى الصحيح صريح فى استيطان إسماعيل وأمه هاجر عند البيت قبل بنائه . و بعض العلماء المسلمين الذين ذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق قد اغتروا بروايات واهية وضعها اليهود وتنبه لها المحققون من أئمة الإسلام (٣) .

---

(١) فى التوراة سفر التكوين (الاصحاح ١٦ الفقرة ١٦ « وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لأبرام، ، اصحاح ٢١ الفقرة ٥ « وكان إبراهيم بن مائة سنة حين ولد له إسحق ابنه) انظر قصص اء للشيخ النجار ص ١٣٤ — ١٣٦

(٢) هو الذى عليه مدينة أورشليم

(٣) انظر ما كتبته فى مجلة الأزهر الجزء الثامن ص ٨٩٧

مكتبتنا العربية

ومن مزاعمهم الكاذبة ما ادعوا أنهم ليس عليهم فى أكل أموال الأميين سبيل ، ومرادهم بالأميين العرب لغلبة الأمية عليهم ، وقد بين الله سبحانه أن هذا من أكاذيبهم ، وما من شريعة من شرائع الله إلا وتحرم أكل أموال الغير بالباطل ، وقد سجل الله عليهم هذا الافتراء فى قوله عز شأنه : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، بلى من أوفى بعهده واتقى فأن الله يحب المتقين » [١] وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : « لما قال أهل الكتاب : ليس علينا فى الأميين سبيل ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : كذب أعداء الله ، ما من شيء كان فى الجاهلية إلا وهو تحت قدمى هاتين ، إلا الأمانة فأنها مؤداة الى البر والفاجر » .

وها هى العصابات اليهودية اليوم تعيد هذا الإفك القديم الذى افتراه آباؤهم من قبل ، فاستحلوا أموال العرب فى فلسطين العربية واغتصبوها جهارا نهارا ، ولم يراعوا فى ذلك أى حق من حقوق الإنسان ، واستغلوها فى صنع وشراء آلات الهلاك والدمار ، ولمن ؟ للعرب ، ولأبناء البلاد المشردين فى الصحارى والعراء .

وهأنذا أكتب هذا المقال وقد وافتنا الأنباء الموثوق بها باستيلاء المزعومة إسرائيل على ثمانين ألف دونم من أملاك البقية الباقية من عرب فلسطين فى منطقة الجليل بحجة استغلالها فى مناوراتهم الآثمة المجنونة ، وكان أصحاب هذه الأرض الشاسعة يستغلونها فى الزراعة ، فأصبحوا بعد اغتصابها مهددين بالجوع والعرى والفناء ، فألى متى يا أرحم الراحمين ويارب المستضعفين يستمر هذا البلاء ؟ .

وقد سولت لليهود عداوتهم للعرب أن حرفوا صفات النبى العربى الأمى التى يجدونها مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل حتى لا تقوم عليهم الحجة برسول يبعث من العرب . ومن تناقضهم وعجيب أمرهم أنهم كانوا يستفتحون على العرب من الأوس والخزرج ، ويقولون لهم : « إنه قرب زمان نبى يبعث فى آخر الزمان سنتبعه وسنقتلكم معه قتل عاد وإرم » فلما جاءهم النبى العربى المؤيد بالوحى والمعجزات الباهرات كفروا وعاندوا ،

---

(١) آل عمران الآيتان ٧٥ ، ٧٦

مكتبتنا العربية

ولم يألوا جهدا فى عداوته والكيد له ، قال سبحانه : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » الآية (١) .

تحريفهم للتوراة :

وكما حرفوا صفات النبى صلوات الله وسلامه عليه حسدا وحقدا حرفوا بعض أحكام التوراة طمعا فى الرشا والسحت ، وذلك مثل ما فعلوا فى رجم الزانى المحصن ، وقد كان هذا حكم الله سبحانه فى التوراة، ثم بدأوا يتلاعبون بكتاب الله المنزل على موسى عليه السلام، فكانوا إذا زنى فيهم شريف يطمعون فى ماله وجاهه تركوه ، وإذا زنى فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، واتخذوا هذا سبيلا إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ثم انتهى بهم الأمر إلى أن غيروا حكم الرجم إلى التحميم والجلد ، واستمر أمرهم على هذا حتى بعث النبى الأمى العربى ، فلما هاجر واستقر به المقام بالمدينة زنى منهم رجل وامرأة ، فجاءوا إليه يستفتونه فى أمرهما رجاء أن يحكم بالجلد ، فأخبرهم أن حكم الله الرجم ، وتحداهم أن يأتوا بالتوراة إن كانوا صادقين فيما يزعمونه من أن حدهم الجلد .

روى الإمام مالك فى موطئه والإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ويجلدون . فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما . ورواه الإمام مسلم بنحو من هذا ، وروى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم (٢) مجلود ، فدعاهم فقال : أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون

(١) سورة البقرة الآية ٨٩

(٢) فى المصباح المنير : « وحممت وجهه تحميما إذا سودته بالفحم » وهذا التحميم مما ابتدعوه .

مكتبتنا العربية

حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : لاوالله ، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئا نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل : « يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت ، فأن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » [١] .

فاليهود ـ قبحهم الله ـ كانوا يحرفون التوراة تارة بتغيير الألفاظ وإزالتها ، وتارة بتعطيل بعض أحكامها أو بحملها على غير محلها الصحيح ، وهكذا وصل بهم الإيغال فى الباطل والخضوع للهوى والشهوات إلى تحريف كتاب الله الذى استحفظوا عليه، وصدق الله « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٢) .

وقد توعدهم الله سبحانه على تحريفهم التوراة طمعا فى عرض زائل فقال : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم [٣] »

قال عكرمة : « نزلت فى رءوس اليهود كتموا ما عهد الله إليهم فى التوراة فى شأن محمد

---

(١) سورة المائدة الآيات ٤١ ـ ٤٣

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨

(٣) سورة آل عمران الآية ٧٧

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وألزمهم الله اللعنة وقسوة القلب فقال : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين »(١)

وهاهو التاريخ يعيد نفسه ، ونجد اليهود يحرفون نصوص المعاهدات والمهادنات ويفسرونها تبعا لأهوائهم وشهواتهم ، وكثيرا ماينسون حظا مما يذكرون به وينذرون . وإن قوما بلغت بهم الجرأة على الله جل جلاله أن يغيروا ويحرفوا كلامه وعهوده لا ينتظر منهم بالنسبة إلى الخلق إلا أن يحرفوا فى العهود ما شاء لهم هواهم أن يحرفوا ، ولا عجب اذا كان مامن يوم يمر إلا ونطلع منهم على خيانة وغدر ونكث للعهود ، ولم يعد يفيد معهم الصفح والإغضاء ، فقد قطع منهم كل أمل فى الوفاء ، ولم يبق إلا الاقتصاص منهم والانتصار ، وإجلاؤهم عن الأرض الطيبة المباركة حتى يعود إليها أهلها فى أمن وسلام ، وليس هذا اليوم ببعيد إن شاء الله ما

(يتبع)

الدكتور
محمد محمد أبو شهبة
المدرس بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تصحيح

جاء فى كلمتى بالعدد السابق من المجلة بعنوان « السفير الأزهرى » أن الشيخ محمد عبده نفاه الخديوى عباس من مصر . وهذا سهو ؛ والحقيقة أن الذى نفاه من مصر هو الخديوى توفيق .

وإنا لنشكر للأخ السيد محمد طاهر اللاذقى لفت نظرنا لذلك .

أبو الوفا المراغى

---

(١) المائدة الآية ١٣

مكتبتنا العربية

من هدى القرآن الكريم :

الحسد والأثرة

وأثرهما فى فساد المجتمع

من قصة ابنى آدم

فى الماضى البعيد ، عند مطلع الحياة البشرية المنسابة فى الوجود ، ظهرت هذه القصة المثيرة ، التى تختلط عناصرها بعوامل البغى والحسد والأنانية الرعناء ، لتفتح على الإنسانية البادئة فى أوائل أيامها طريقا غير معلوم النهاية للفساد والشر والمظالم الكبرى .

إنها قصة قابيل وهابيل ولدى آدم عليه السلام ، من منا لم يسمع بهذين الاسمين ؟ كان قابيل شخصية ضعيفة تمتزج بها عناصر الشر ، وتسيطر على تصرفاتها نزوات الإثم والطمع ، والتمرد على حكم الحق ، وكان أخوه هابيل رجلا صالحا تقيا يطمئن نفسه للحق ، وتتمرد ولكن على دواعى البغى والعدوان وشطط النفس الأمارة بالسوء ، وقد وقع بينهما ذلك الصراع الأبدى الذى لا بد أن يقع بين هذين الوجهين المتقابلين فى سيرة الحياة أبدا .

وكما تظهر حواء دائما أو فى أكثر الأحوال فى كل نزاع يقع بين الناس على هذه الأرض ، فقد ظهرت هذه المرة على أشد ما تكون فتنة وإغراء فى مجال الخصومة الدامية — أول خصومة دامية — بين هذين الأخوين ، وهما لم يزالا ضيفا جديدا على الأرض البيضاء على الفطرة البكر ، لا يعرفان بغضا ولا إثما ولا قتلا ولا دما .

كان آدم عليه السلام ينجب أولاده — فى بدء الخليقة — مثنى مثنى ، ذكرا وأنثى طبقة بعد طبقة ، وكان يزوج الابن الأكبر من الطبقة الأولى أخته الصغرى من الطبقة التى تليه ، ويزوج الأخ الأصغر أخته الكبرى من الطبقة التى تعلوه ، هكذا قضت عليهم الاحتياجات الملحة للتعمير والإكثار من النسل — يوم كانت الأرض فضاء مترامياً — أن يفعلوا .

مكتبتنا العربية

وكان لابد — بناء على هذه الشريعة السائدة — أن يتزوج قابيل الأخ الأكبر توأم هابيل أخته الصغرى ، وأن يتزوج هابيل توأم قابيل أخته الكبرى .

وهنا تبرز مشكلة المرأة الجميلة من أول يوم فى حياة الإنسان ، كما تبرز بعد ذلك فى حياته دائما ، تجر أكثر مشاكل الدنيا وراءها ، فأن قابيل وجد الزوجة المنتظرة لأخيه هابيل جميلة رائعة ، بينما الزوجة التى يراد له أن يقترن بها — وهى توأم هابيل — دميمة قبيحة لم يقسم لها حظ من الحسن والبهاء ، فرفض قبولها ، ومد عينيه إلى فتاة أخيه الجميلة الحسناء ، وتحركت فى ظلمات صدره عقارب الحسد المغتال ، وصمم على انتزاعها منه قسرا — كيفما كان الأمر — متحديا بذلك الشريعة والرحم وطاعة الوالدين ، وانتهى نبأ هذا الشر الكاشر عن أنيابه إلى آدم عليه السلام أبيهما الذى هبط من الجنة ، لينشئ هو وذريته عمارة الدنيا ، فأمرهما أن يقرب كل منهما إلى الله قربانا ، فمن قبل الله قربانه فقد حكم له بزواج الأخت الجميلة ، وفى هذه المرة أيضا لم يحظ قابيل بحكم الله له ، فازدادت نفسه حسدا وحنقا ، وكأنما رأى بمنطق المخذولين التعساء أن الله يتحداه برفض قربانه ، وقبول القربان من أخيه هابيل ، فأقبل عليه وملء نفسه حقد وثأر ، يتوعده بالقتل : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين » قال أهل العلم بالتفسير : إن قابيل كان زارعا وإن هابيل كان راعيا ، فلما تقدما للقربان اختار هابيل أحسن رأس من الغنم عنده فقدمه إلى الله طيبة به نفسه ، فقبله الله منه ، وعمد قابيل — ولم يفارقه طمعه ولا أنانيته — إلى مقدار من الحنطة فجعله — على استكراه منه — لله قربانا ، فرده الله عليه ، لأن الله إنما يتقبل القربان من عباده المتقين الذين يحملون فى أنفسهم معنى العبودية الصادقة ولا يمنون على الله بما يفعلون .

لقد كانت كلمة التقوى وحديث المتقين فى لسان هابيل وهو يخاطب أخاه قابيل جديرا أن يكسر إرادة الشر فى نفسه ، ولكن هيهات ، فأنه الحسد قلما يجدى معه علاج ، فلم يزل الشق الحانق على إرادة القتل والتوعد به ، فقال له الرجل الصالح : « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين ، إنى أريد أن تبوء بأثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » .

لم يكن الصراع فى الحقيقة بين قابيل وهابيل ، ولكنه كان صراعا من قابيل مع

مكتبتنا العربية

نفسه : مع النوازع الشريرة والإرادات الخبيثة ، والشهوات العارمة المسلطة ، وكان الواجب أن يعمد قابيل الى هذه الشهوات والإرادات التي تسومه سوء المهانة والعذاب وتتقحم به أسنة الرماح ، فيقتلها و يتخلص من أسرها ، ولكنه عجز . . . عجز أمام ضعفه ، وطغيان شهواته ، وتحول معنى القتل الذى كان يطلب منه لشهواته الى قتل أخيه « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » . وهذا أعنف ضروب الحسد : الحسد على الفضيلة ، والحسد على الاستقامة ، حينما تستشعر بعض النفوس الخبيثة المنحلة أن مثال الفضيلة والقوة الخلقية فى شخص يقوم بأزائها — فيكون محض ظهوره كافيا فى تحقيرها وكشف ضعفها ، فلا تجد سبيلا لضمان وجودها وستر نقائصها إلا أن تزيل من فوق الأرض مثلا نورانيا رفيعا .

كانت هذه أول جريمة قتل وقعت فى الدنيا ، كان قابيل يترصد أخاه فى كل مكان ليقتله ، فراغ منه الفتى فى رءوس الجبال ، فما زال يتتبعه حتى وجده نائما ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء — أول دم سفك على الأرض من ولد آدم ، وتتابعت على أثره دماء القتلى جميعا ، أول اغتيال تلوث به ضمير الإنسان — فى فجر مولده — فلم يتهيب الاغتيال ولا الجريمة بعد ذلك أبدا .

وأمسى قابيل القاتل الأول الذى شرع جريمة القتل للناس كافة ، فكل دم سفك بعد فعلته فعليه وزر منه ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل . وكان عبد الله بن عمر يقول : « إن أشقى الناس رجلا لابن آدم الذى قتل أخاه ، ما سفك دم فى الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شيء ، وذلك أنه أول من سن القتل » .

هذه سلسلة من الجرائم والكوارث الكبيرة إذا نظرتم لأصلها ألفيتموه الحسد وحب الذات ، وقانا الله وإياكم شرورهما . ﻫ

محمد سماد مهلول
دكتور فى الشريعة الإسلامية
ومدرس بالأزهر

مكتبتنا العربية

حكم المـــرتد

فى الشريعة الاسلامية

كنت كتبت مقالا بعنوان : متى يجوز الاجتهاد ومتى لايجوز ؟ ، بمناسبة ما نشره الشيخ عبد الحميد بخيت فى إباحة الفطر وشروطه ، وقد نشر هذا المقـال فى مجلة الأزهر [١] وجريدة الجمهورية . ثم اطلعت على كتيب مطبوع بعنوان اجتهاد جديد للشيخ عبد المتعال الصعيدى الأستاذ فى كلية اللغة العربية . وقد ذكر فيه مقالى المشار إليه ، وعقب عليه بأمور خمسة ، مهد لها بتمهيد رمانى فيه وأمثالى من غالب علماء الأزهر بالجمود ، وأننا سبب ضعف المسلمين ، وقال : إن خطأ الشيخ بخيت يهون فى جانب خطئهم وجمودهم .

ولمـا كان مسلـكه فى هذا التعقيب لا يجوز غض النظر عنه رأيت من الواجب على تنبيه المسلمين إلى ما فيه من الخطورة على أحكام الشريعة ، فانه لو اتخذ مثل هذا المسلك فى أى حكم شرعى متفق عليه بين المسلمين لأمكن إنكاره والقول بخلافه ، ذلك أنه لم يبال باجماع الأئمـة ، ولم يراع ما تقرر فى العلوم الشرعية والعربية حتى البديهى منها الذى لايجهله صبيان المكاتب . وقد تشبث بشبه لا تخلو الأدلة عن مثلها .

وإنى أبدأ بالتعقيب الثانى لأنه أهمها وأخطرها ، قال ما نصه بالحرف :

« وهو ثانيا يرى أن حكم المرتد القتل لأنه هو المشهور عنده وعند أمثاله من علمـاء الأزهر ، وهو المقروء فى كتب الفقه الأزهرية ، وهو الذى قال به الأئمة الأربعة ، ولاقيمة لقول غـيرهم فى ذلك عندهم وإن كان هو المناسب لروح الشريعة الإسلامية ، فيجمدون على هذا ولا يرون شيئا خلافه ، لأنهم لم يدرسوه فى كتبهم ، مع أن المرتد فيه أقوال كثيرة : منها أنه يستتاب أبدا ولا يقتل ، وقد استدل من ذهب إليه بمـا روى عن أنس بن مالك أن أبا موسى الاشعرى قتل بحينة الكذاب وأصحابه ، قال أنس : فقدمت على عمر بن الخطاب فقال : مافعل بحينة وأصحابه ؟ قال : فتغافلت عنه ثلاث مرات ، فقلت : يا أمير المؤمنين وهل كان سبيل الا القتل ؟ فقال عمر : لو أتيت بهم لعرضت عليهم الاسلام . فأن تابوا

---

(١) شوال ١٣٧٤ ص ١١٤٣ .

مكتبتنا العربية

وإلا استودعتهم السجن . وكذلك استدل بما رواه ابن مسعود فى الرجل القائل : إن رسول الله لم يعدل ، ولا أراد وجه الله فيما عمل . فان هذا كفر وردة ، ومع هذا لم يمكن من أراد قتله من أصحابه من قتله . وقد رويت أخبار فى مثل هذا من الكفر والردة ولم يرد فى شىء منها أن من ارتد تاب من ردته ولا أنه قتل ولا أنه سجن ولا أنه استتيب . ولنا أن نأخذ من هذا أنه لا يستتاب أيضا . وقد ذهب الحنفية إلى أن المرأة المرتدة لا تقتل ، واستدلوا بما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من النهى عن قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة وقال : ما كانت هذه لتقاتل . ويمكننا أن نأخذ من هذا أن من ورد فى الأحاديث قتله من المرتدين كان مقاتلا ، فيكون قتله لأنه مقاتل ، لا لأنه مرتد . ويمكن أيضا حمل ما ورد من قتل المرتد على من يرتد من العرب لأنهم خاصة لا يقبل منهم إلا الإسلام ، وكان هذا لسبب سياسى لا لسبب دينى ، لأنه أريد جعل جزيرة العرب وطنا خالصا للمسلمين حتى يقضى على كل أسباب الفتن فيها ، وتكون ملجأ للمسلمين إذا أصيبوا فى غيرها . ولا شك أن عدم قتل المرتد هو المناسب لما جاء به الإسلام من الحرية الدينية ، لأن الدعوة فيه إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة لا بقتال أو غيره من وسائل الإكراه . وقد نفى القرآن الإكراه فى الدين نفيا صريحا بقوله فى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقوله فى الآية ٢٩ من سورة الكهف : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ولكن علماء الأزهر لا يزالون يصرون — إلا النادر — على أن هذا منسوخ بآيات القتال الخ ما قال مما لا فائدة فى نقله .

هذا ما قاله الأستاذ بالحرف ، وإنى سأذكر ما قيل فى شأن المرتد من مواطن الخلاف وموطن الوفاق بين جميع الأئمة ، لا الأئمة الأربعة فقط ، مقتصرا فى مواطن الخلاف على مجرد الحكاية من غير تعرض لمدارك الأئمة فيها . وأما موطن الوفاق فسأذكر فى شأنه كلام الأئمة فى حكاية الإجماع ، وأبين الشبه التى يشتم منها رائحة الخلاف فى هذا الحكم المجمع عليه والتى تشبث بها هذا المجتهد الجديد ثم أبطلها ، ثم أذكر الأدلة الشرعية التى استند إليها جميع الأئمة مع الإشارة إلى إدحاض ما حاوله من تحويلها عن مجراها الطبيعى ، ثم أذكر الشبه التى تشبث بها والتى يشتم منها رائحة المعارضة لهذه الأدلة ، ثم أكر كرا عنيفا على ما تخيله من الأدلة على ما ادعاه من الحكم المخالف للاجماع .

ما قيل فى شأن المرتد

أجمع أئمة المسلمين — من صحابة وغيرهم — على أن الرجل المرتد عن دين الإسلام يقتل

مكتبتنا العربية

بردته ، واختلفوا فى المرتدة : فذهب الجمهور إلى أنها تقتل كالمرتد ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه والثورى وابن شبرمة وابن علية إلى أنها لا تقتل ، وروى ذلك عن ابن عباس ، واختلفوا أيضا : فقيل يقتل المرتد مطلقا حالا من غير استتابة ، وقيل لا يقتل مطلقا إلا بعد الاستتابة ، وقيل إن كان زنديقا يقتل من غير استتابة ، وإن كان غيره لا يقتل إلا بعد الاستتابة ، واختلف القائلون بالاستتابة : فقيل يستتاب مرة ، وقيل ثلاث مرات : قيل فى مجلس واحد أو فى يوم واحد أو فى ثلاثة أيام ، وعن على أنه يستتاب إلى شهر وقيل أكثر ، وعن إبراهيم النخعى يستتاب أبدا ، وسنذكر ما فيه .

حكاية الاجماع على قتل الرجل المرتد

أولا : قال ابن عبد البر فى التمهيد فى الكلام على حديث «من بدل دينه فاقتلوه» : وفقه هذا الحديث أن من ارتد عن دينه حل دمه وضربت عنقه ، والأمة مجمعة على ذلك . وإنما اختلفوا فى استتابته ، وبعد أن ذكر الخلاف فى الاستتابة وفى المرتدة قال : وروى عثمان ابن عفان وسهل بن حنيف وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وجماعة من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لايحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث: كفر بعد ايمان ، أوزنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس» فالقتل بالردة على ما ذكرنا لا اختلاف بين المسلمين فيه، ولا اختلفت الرواية والسنة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه، وإنما الاختلاف فى الاستتابة وفيما ذكرنا من المرتدة اهـ

ثانيا : قال صاحب المغنى من فقهاء الحنابلة : وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد ، وروى ذلك عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاذ وأبى موسى وخالد وغيرهم ، فلم ينكر ذلك ، فكان إجماعا اهـ .

ثالثا : قال ابن دقيق العيد فى شرح العمدة : فراق الرجل بالردة عن دينه سبب لإباحة دمه بالإجماع . واختلف الفقهاء فى المرتدة اهـ . هذا بعض ما قيل من حكاية إجماع أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة فقط على وجوب قتل المرتد .

ما يشتم منه رائحة الخلاف فى قتل المرتد

أولا : نقل عن إبراهيم النخعى أنه قال : يستتاب المرتد أبدا ، فيفهم من ظاهر كلامه أنه يرى أن الرجل المرتد لا يقتل . وقد اغتر بهذا الظاهر صاحب المغنى فقال ـ

مكتبتنا العربية

بعد أن حكى الاجماع كما سبق ـ : وقال النخعى يستتاب أبدا ، وهذا يفضى الى أنه لا يقتل أبدا ، وهو مخالف للسنة والإجماع اهـ . وكذلك اغتر به ابن حزم فقال فى المحلى : وقالت طائفة يستتاب أبدا ولا يقتل ، ورد عليه بقوله : ولو صح هذا لبطل الجهاد جملة ، لأن الدعاء كان يلزم أبدا مكررا بلا نهاية ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، وليس دعاء المرتد ـ وهو أحد الكفار ـ بأوجب من دعاء غيره من الكفار الحربيين ، فسقط هذا القول اهـ . ويظهر أن المجتهد الجديد اغتر بكلام ابن حزم فحكى ما حكاه من الخلاف .

والتحقيق أن هذا الظاهر من كلام النخعى غير مراد ، لأنه لا معنى للاستتابة الدائمة إذا لم يترتب على عدم الإجابة شىء ، فيتعين حمله على أنه يستتاب أبدا كلما رجع إلى الردة ، ولذلك قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : وعن النخعى يستتاب أبدا ، كذا نقل عنه ، والتحقيق أنه فيمن تكررت منه الردة اهـ . يعنى أنه إذا ارتد يستتاب فأن لم يتب قتل ، وإن تاب ترك . فأن رجع وارتد ثانيا يستتاب ، فأن لم يتب قتل ، وإن تاب ترك ، وهكذا . هذا هو المعنى المعقول من كلام النخعى . وقد روى البيهقى فى السنن الكبرى بسنده هـذا المعنى عن النخعى أى أنه قال : المرتد يستتاب كلما رجع . والدليل الصحيح الواضح على مراد النخعى ما ذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم فقال : وقال ابن عمر والزهرى وإبراهيم أى النخعى : يقتل المرتدة اهـ .

فاذا كان النخعى يقول بقتل المرتدة التى فيها خلاف ، فهو يقول بقتل المرتد من باب أولى . على أن الحافظ ابن حجر حينما بين أئمة الحديث الذين وصلوا هذا التعليق ظهر منه أن بعض الروايات عن النخعى بهذا النص : إذا ارتد الرجل أو المرأة عن الإسلام استتيبا ، فأن تابا تركا ، وإن أبيا قتلا اهـ . فلا حاجة بنا الى القياس الأولوى على المرتدة . فيتعين مما ذكرناه أن النخعى كغيره يقول بوجوب قتل المرتد إن لم يتب ، وأن معنى ما نقل عنه من قوله : « يستتاب أبدا » أنه يستتاب كلما رجع . والله أعلم .

ثانيا : ما رواه البيهقى فى السنن الكبرى وابن عبد البر فى التمهيد وابن حزم فى المحلى عن أنس بن مالك قال : إن نفرا من بكر بن وائل ارتدوا عن الإسلام يوم تستر ولحقوا بالمشركين ، فلما فتحت قتلوا فى القتال ، فأتيت عمر بفتحها فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ فعرضت فى حديثه لأشغله عن ذكرهم ، فقال : ما فعل النفر من بكر بن وائل ؟ قلت : قتلوا . فقال لأن أكون أخذتهم سلما أحب إلى مما طلعت الشمس من بيضاء أو صفراء . فقلت : وهل كان سبيلهم إلا القتل ؟ ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين . قلت :

مكتبتنا العربية

اعرض عليهم أن يدخلوا فى الباب الذى خرجوا منه فأن فعلوا قبلت منهم، و إلا استودعتهم السجن . اهـ ، وهـذا لفظ رواية ابن عبد البر ، واللفظ الذى أورده المجتهد الجديد لفظ ابن حزم ، وظاهر هذه الرواية عن عمر أنه يرى عدم قتل المرتد فى الحال، بل يرى سجنه ، ولكنه لم يبين فى هذه الرواية غاية سجنه : هل يسجن مدة معينة فأن لم يتب بعدها يقتل ، أو يخرج من السجن من غـير قتل ، أو يسجن مؤبدا فلا يخرج من السجن إلا إن تاب ، كل محتمل . وقد ورد عن عمر ما يعين مدة سجن المرتد بثلاثة أيام فأن تاب و إلا قتل ، فقد روى مالك فى الموطأ قال : قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبى موسى الأشعرى ، فسأله عمر عن الناس ، فأخبره ، ثم قال له عمر : هل من مغربة خبر ؟ قال : نعم ، رجل كفر بعد إسلام . قال فماذا فعلتم ؟ قال قربناه فضربنا عنقه ، قال عمر : هلا حبستموه ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفـا واستتبتموه فلعله يراجع أمر الله ، اللهم إنى لم أحضر ولم آمر ولم أرض إذ بلغنى ، وفى رواية كما فى التمهيد لابن عبد البر قال : قـدم وفد أهل البصرة على عمر فأخبروه بفتح تستر ، فحمد الله ثم قال : هل حدث لكم حدث ؟ قالوا : لا والله يا أمـير المؤمنين ، إلا رجل ارتد عن دينه فقتلناه ، فقال : ويلكم ، أن تطينوا عليه بيتا ثلاثا ، ثم تلقوا إليه رغيفا ، فأن تاب قبلتم منه ، و إن أقام كنتم أعذرتم إليه ، اللهم إنى لم أشهد ولم آمر ولم أرض إذ بلغنى . اهـ ، فهـذا يدل على أن عمر يرى وجوب الاستتابة و إمهاله ثلاثة أيام مع سجنه فيها ، فأن تاب و إلا قتل ، فتحمل الرواية المطلقة على ذلك . وقد استدل ابن القصار ـ كما فى فتح البارى ـ بهـذا الأثر عن عمر لمـا قاله الجمهور من وجوب الاستتابة ثلاثة أيام، وادعى أن عمر قاله بمحضر الصحابة ولم ينكر عليه، فكان إجماعا ، اهـ . هذا ما يمكن أن يتخيل فيه وجود خلاف بين المسلمين فى وجوب قتل المرتد ، وقد تشبث به حضرة المجتهد الجديد، ففهم منه الخلاف تبعا لابن حزم الذى اغـتر بمـا نقل عن النخعى ، وكان الواجب استيفاء البحث ليوفق بينه و بين من نقل الإجماع .

الادلة الشرعية التى تعتبر سندا للاجماع

أولا : قوله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » أخرجه البخارى وأصحاب السنن ، وكلهم أخرجوه فى ضمن قصة إحراق على لبعض الزنادقة ، إلا ابن ماجه فاقتصر على هذا اللفظ .

ثانيا : قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ،

مكتبتنا العربية

أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس » أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بألفاظ متقاربة . وقال ابن عبد البر فى التمهيد كما تقدم : ورواه عثمان بن عفان وسهل بن حنيف وعبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعائشة وجماعة من الصحابة اهـ .

ثالثا : ما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى الأشعرى إلى اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل ، فلما قدم عليه ألقى إليه وسادة قال : انزل . فاذا رجل موثق عنده . قال : ما هذا ؟ قال : كان يهوديا فأسلم ثم تهود . قال : اجلس . فقال : لا أجلس حتى يقتل . قضاء الله ورسوله . فأمر به فقتل . وفى رواية زيادة بعد قوله : « قضاء الله ورسوله » هى قوله : إن من رجع عن دينه ـ أو قال بدل دينه ـ فاقتلوه .

هذه بعض الأدلة الشرعية التى تعتبر سندا للاجماع . ومن المعلوم أن الصحابة عملوا بمقتضى هذه الأدلة ، فان أبا بكر رضى الله عنه حارب أهل الردة باتفاق الصحابة ، وذلك معروف ومشهور . وأخرج ابن عبد البر فى التمهيد أن عليا أتى بالمستورد العجلى وقد ارتد عن دين الإسلام ، فاستتابه فأبى ، فقتله . وأخرج أيضا أن عليا أخذ رجلا من بكر ابن وائل تنصر بعد الإسلام فعرض عليه الإسلام شهرا فأبى فأمر بقتله . ثم إن هذه الأحاديث الدالة على وجوب قتل المرتد وآثار الصحابة التى تفيد العمل بمقتضاها ليس فيها ما يشتم منه رائحة حملها على المرتد المقاتل ولا على المرتد من العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام ، كما يقوله حضرة المجتهد الجديد ، ومن الواضح أن المقاتلين سواء كانوا مرتدين أو كفارا أصليين أو مسلمين بغاة يجب قتالهم على الوجه المقرر فى الشريعة ، وهذا حكم آخر بأدلة أخرى غير هذه الأدلة التى وردت فيمن بدل دينه وكفر بعد إيمان ، ولو كان فردا واحدا لم يقاتل . والمرتد الذى نفذ فيه القتل أبو موسى الأشعرى كطلب معاذ كان أصله يهوديا فأسلم ثم ارتد ، فلم يكن من العرب الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام .

ما يتخيل فيه المعارضة لهذه الأدلة

أولا : ما أخرجه البخارى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : **لما قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فتغير وجهه فقال : رحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من هذا .**

مكتبتنا العربية

ثانيا : ما أخرجه البخارى وغيره عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى فقال : اعدل يا رسول الله . فقال : ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمر بن الخطاب : ائذن لى فأضرب عنقه . فقال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية اه .

ووجه المعارضة أن الذى صدر من هذين الرجلين فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم يعتبر كفرا وردة ، ومع ذلك لم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلهما ولا باستتابتهما ، ومنع عمر من قتل الثانى ، فدل ذلك على أن المرتد لا يقتل بل ولا يستتاب كما رآه حضرة المجتهد الجديد .

والجواب عن ذلك : أما عن الرجل الأول فأنه كان من المنافقين ، واسمه معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف . ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى بدء الإسلام يتغاضى عن المنافقين وعما يحصل منهم من إيذاء حتى لا يعرف عنه أنه يقتل أصحابه فتنفر الناس عن الدخول فى الإسلام ، وكان يرجو أن يهديهم الله الى الإيمان كغيرهم ويعاملهم معاملة المؤمنين ويصلى على من مات منهم ، ولما استقر الإسلام وظهر أمره الله بجهادهم كمظهرى الكفر ، فقال الله تعالى : « يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » ونهاه عن الصلاة عليهم فقال تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » .

هذا ـ واعلم أن ابن حزم فى المحلى ذكر المنافقين وما كان يحصل منهم فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه شبهة لمن يقول بعدم قتل المرتد وأطال الكلام فى ذلك ، وخلاصة ما أجاب به أن المنافقين أقسام : منهم من لم يكن يعرف الرسول عينه ، ومنهم من كان يعرفه ولكنه تاب . وأما من كان يعرفه وظهر منه مكفر ولم يتب ولم يقتله فلأن ذلك كان قبل تشريع قتل المرتد . وقد علمت أن مأخذ ابن حزم فى حكاية هذا القول هو ما نقل عن النخعى وسبق تحقيق القول فيه . وصاحبنا المجتهد الجديد تبع ابن حزم فى حكاية هذا القول والشبه التى أوردها ، ولم يتبعه فى رأيه فيها ، بل زاد عليه القول بعدم استتابة المرتد أيضا ، مع أن ابن حزم حكى الإجماع على ذلك ، وعبارته « والأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه ، فمن قائل يكره ولا يقتل ، ومن قائل يكره ويقتل » اهـ .

وأما عن الرجل الثانى فان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عنه بأنه رأس الخوارج ،

مكتبتنا العربية

وذكر صفاتهم وأحوالهم ومآلهم وأمر بقتلهم وقتالهم ، ووقع كما أخبر . وذلك من دلائل نبوته .

إلا أن صدور هذا الكلام من هذا الرجل رئيسهم كان قبل أن يستقر الإسلام ، فكان الحال داعيا للتألف لئلا ينفر الناس عن الإسلام ، وقد ورد فى بعض طرق هذا الحديث أنه حينما أراد عمر قتله ومنعه الرسول صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلاة والسلام : « لا أريد أن يسمع المشركون أنى أقتل أصحابى » وفى رواية : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى » ولذلك ذكر البخارى هذا الحديث تحت ترجمة (باب ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه) .

وقد صح عن أبى سعيد الخدرى راوى هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر الإسلام بعث إلى هذا الرجل على بن أبى طالب ليقتله فلم يجده ، والله أعلم .

(تفنيد الادلة التى تخيلها من بنات فكره على ما ادعاه من مخالفة الاجماع)

أما قوله : ولا شك أن عدم قتل المرتد هو المناسب لما جاء به الإسلام من الحرية الدينية ، فغير صحيح على إطلاقه ، لا بالنسبة للمسلمين ولا بالنسبة للكفار ، أما المسلمون فقد تقرر فى الشريعة عقوبات رادعة فى الدنيا من حدود وتعازير لكل من تعدى منهم حدود الله ، فتارك الصلاة يعاقب بالقتل أو الحبس ، ومانع الزكاة تؤخذ منه قهرا ، فإن كان له منعة وقاتل يقاتل ، وهكذا . فأين الحرية الدينية لهم ؟ . وأما الكفار فإن كانوا من أهل الكتاب وأمثالهم فالمطلوب منهم إما الإسلام وإما دفع الجزية احتراما لأصل دينهم ، وإن كانوا من غيرهم فالمطلوب منهم الاسلام فقط ، فأين الحرية الدينية المطلقة لهم ؟ .

وأما قوله : لأن الدعوة اليه إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهذا صحيح على الجملة ، لكن إن لم تفد الحكمة والموعظة الحسنة وعاند الكافر ولم يسلم ولم يدفع الجزية ـ إن كان من أهل الكتاب ـ أو وقف فى سبيل الدعوة على الرأى الحديث ـ فماذا يكون الحال ؟ أيترك حرا ولا يقاتل أم يقاتل ؟ !

وأما قوله : إن القرآن نفى الإكراه فى الدين نفيا صريحا واستدلاله بالآيتين الشريفتين ، فهذا من عجائب الأفكار وغرائب الأفهام . أما الآية الأولى فكلام الأئمة فيها مشهور ، فمنهم من قال : إن معناها لا إكراه من الله تعالى فى الدين ، ولا الجاء ولا قسر ، بعد أن تبين

مكتبتنا العربية

الرشد من الغى ، و إنما جعل الأمر موكولا الى اختيارهم أحد النجدين : طريق الهدى والرشاد وطريق الغى والضلال، ليتحقق الابتلاء والامتحان فى دار الدنيا ؛ ثم هو سبحانه وتعالى يجازى كلا حسبما فعل باختياره. وربما يتوهم أن هذا المعنى انما يتمشى على مذهب المعتزلة الذين يقولون بخلق العبد أفعاله الاختيارية ، وليس بصحيح ، بل يجرى على مذهب أهل السنة أيضا لأنهم يقولون : إن للعبد كسبا واختيارا هو مناط التكليف . ومنهم من قال : إنه خبر بمعنى النهى ، والمعنى لا تكرهوا أحدا على الإيمان ، وهى خاصة بأهل الكتاب، فانهم مخيرون بين الإسلام ودفع الجزية، وسبب نزولها يؤيد هذا الرأى. وهناك أقوال أخرى وكلها لا تمت الى المرتد بنسب ولا سبب .

وأما الآية الثانية فالجواب عنها هو مجرد تلاوتها بتمامها ، قال الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا»

ولا شك أن العامى الذى يسمع تلاوتها كل جمعة من قارئ (سورة الكهف) يفهم منها أن الغرض التهديد من الله تعالى للكافرين ، ولا يخطر فى باله أن المعنى على الإباحة والتخيير ، إذ لا معنى للوعيد الشديد حينئذ .

وقد رأيت كتابا صغيرا يدرس لتلاميذ المدارس الأولية أو الإعدادية فيه التمثيل للأمر الوارد للتهديد بهذه الآية ، فكيف يغيب عن أستاذ فى كلية اللغة العربية مالم يجهله صبيان المكاتب ؟ ! فاذا كان هذا مبلغ إدراكه فى اللغة العربية فكيف يصح أن يؤتمن على تدريسها ؟ هدانا الله و إياه الى سواء السبيل ؛

عيسى منون
عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا

مكتبتنا العربية

بحوث فى الحضانة

٢ — مدة الحضانة

١ — الغرض من الحضانة رعاية الصغير من وقت ولادته وحفظه وصيانته وتربيته والقيام عليه بكل ما يعود عليه بالمصلحة ، ولا يختلف فقهاء الشريعة فى أن للحضانة أمدا مقررا وغاية تنتهى إليها ، إذ يجمعون على أن الصغير أو الصغيرة يبقى كل منهما فى رعاية الحاضنة مدة محددة تنتهى بنهايتها حضانتها ، ولكنهم يختلفون فى هذا الأمد وتحديد مقداره رغم اتفاقهم على أنه حق مؤقت .

٢ — فيرى الحنفية أن هذا الأمد يختلف باختلاف نوع المحضون و باختلاف الحاضنة ، فالحضانة بالنسبة للصغير تنتهى إذا استغنى عن الحضانة واستقل بأموره وشئونه من غير اعتماد عليها ، بأن أصبح قادرا على الأكل والشرب واللبس وحده ، وأضحى لا يستعين بأحد فى استنجائه ووضوئه ، ومع اتفاقهم على أن استغناء الصغير هو الحد الفاصل بين الحاضنة والصغير إلا أن فقهاء المذهب يختلفون فى تقدير السن التى يستغنى فيها الصغير ، فالخصاف وغيره من فقهاء المذهب يقدرونها بسبع سنين ، اعتمادا على أن الغالب فى الصغير إذا بلغ السابعة من عمره أن يستغنى عن الحاضنة ويباشر أموره بنفسه من غير معونة أحد ، وقدرها بعض فقهاء المذهب بتسع سنين ، لكن الفتوى فى المذهب على تحديد ذلك بسبع سنين . وجميع الحاضنات فى ذلك سواء ، فلا فرق بين أن يكون الصغير عند الأم أو إحدى الجدتين و بين أن يكون عند غيرهن من الأخوات والخالات والعمات .

أما بالنسبة للصغيرة فإنهم يفرقون بين نوعين من الحاضنات ، فان كانت الصغيرة عند الأم أو إحدى الجدتين فان الحضانة تنتهى ببلوغ الصغيرة ، و بلوغها يتحقق بالعوارض الطبيعية من حيض أو احتلام فان لم يكن احدهما فبالسن ، و إن كانت الصغيرة عند غير الأم أو إحدى الجدتين من الحاضنات فان حضانتها تنتهى ببلوغها حدا تشتهى فيه ، وهو ما يعبر عنه البعض ببلوغها سن المراهقة ، وقد قدر بعض فقهاء المذهب هذا الحد بتسع سنين ، وقدره بعض آخر بأحدى عشرة سنة ، ولكن الفتوى فى المذهب على التحديد بتسع سنين . وهذا ظاهر الرواية فى المذهب .

مكتبتنا العربية

ونقل عن محمد بن الحسن ـ وهو رواية عن ابى يوسف أيضا ـ أن الصغيرة إذا كانت عند الأم أو إحدى الجدتين فأن حضانتها تنتهى أيضا ببلوغها حد الاشتهاء ، وأنه لافرق بين أن تكون الصغيرة فى حضانة الأم أو إحدى الجدتين وبين أن تكون فى حضانة غيرهن ، أى أن جميع الحاضنات فى ذلك على قدم المساواة ، وهذا الرأى المنقول عن محمد وأبى يوسف هو الذى أفتى به فقهاء المذهب معللين ذلك بأن المصلحة تقتضى إنهاء حضانة الصغيرة فى هذه السن ودفعها إلى الأب لفساد الزمان ، وقد قدمنا أن بعض الفقهاء حدد هذه السن بتسع سنين وأن البعض الآخر حددها بأحدى عشرة سنة وأن الفتوى فى المذهب على التسع [١]

٣ — ويرى المالكية فى المشهور عنهم أن حضانة الصغير تنتهى بالبلوغ ، فأذا بلغ باحتلام أو إحبال أو غير ذلك انتهت حضانته ، وعلى الأب أن يتعهده عند أمه قبل البلوغ ، فينظر فى شئونه ويقوم بتربيته بأرساله إلى دور التعليم أو أصحاب الحرف ليتعلم منهم ، ونقل عن المالكية فى غير المشهور عنهم أن حضانة الصغير تنتهى باستغنائه ووصوله إلى السابعة كما يقول الحنفية ، أما الصغيرة فان حضانتها تنتهى بزواجها ودخولها ، أى أنها تستمر فى حضانة أمها بعد البلوغ إلى أن تتزوج ويدخل بها الزوج ، فلا تسقط حضانة الأم بمجرد عقد زواج المحضونة كما لا تسقط بالطلاق قبل الدخول ، فالمعول عليه فى إسقاط الحضانة وإنهائها هو الدخول ، لكن إذا دخل بها الزوج قبل البلوغ ثم طلقت وكان الطلاق قبل البلوغ أيضا عادت الحضانة إلى الحاضنة ولا كذلك فيما إذا طلقت بعد البلوغ [٢]

٤ — ويرى الشافعية أن الحضانة بالنسبة للصغير والصغيرة تنتهى متى صار كل منهما مميزا ، وقد اختلف فقهاء المذهب فى تحديد السن التى يتحقق فيها التمييز ، فقال البعض : إنها السن التى يصل فيها الصغير أو الصغيرة إلى حال يستطيع فيها أن يأكل وحده وأن يشرب وحده وأن يستنجى وحده ، وقال بعض آخر : إنه سبع سنين فى الغالب ، وقد يكون ثمانى

---

[١] الهداية وفتح القدير جـ ٣ ص ٣١٦ ، ٣١٧ ، حاشية ابن عابدين على الدر جـ ٢ ص ٦٥٧ ، تبيين الحقائق للزيلعى جـ ٣ ص ٤٩ .

[٢] حاشية الدسوقى على شرح خليل جـ ٢ ص ٥٢٦ ، الحطاب على شرح خليل جـ ٤ ص ٢١٤ ، نيل الاوطار جـ ٥ ص ٢٨١ ، الميزان الكبرى للشعرانى جـ ٢ ص ١٣٣

مكتبتنا العربية

سنين فى غير الغالب ، لكن المدار عندهم على التمييز، فاذا صار المحضون مميزا فان حضانته تنتهى ويخير بين أبويه كما سيأتى فى البحث التالى [١] .

٥ — ويرى الحنابلة أن حضانة الصغير والصغيرة تنتهى ببلوغ كل منهما السابعة من عمره ، فاذا وصل الصغير إلى هذه السن خير بين أبويه كما سيأتى فى البحث التالى ، وأما الصغيرة فانها لاتخير وإنما تدفع إلى الأب وجوبا ، وهناك روايات أخرى عن الحنابلة نقلها الشوكانى فى نيل الأوطار والشعرانى فى الميزان الكبرى ، ولكننا لم نعثر عليها فى كتب الحنابلة ، ولذلك أعرضنا عنها [٢] .

٦ — ويرى الليث بن سعد إمام أهل مصر أن حضانة الصغير تنتهى بوصوله إلى الثامنة من عمره ، أما الصغيرة فتنتهى حضانتها ببلوغها [٣] .

ويرى ابن حزم من فقهاء الظاهرية أن الحضانة تنتهى لكل من الصغير والصغيرة بالبلوغ ، فاذا ظهر على أحدهما علامة من علامات البلوغ الطبعية مع التمييز وصحة الجسم سقطت حضانة الحاضنة أنثا كانت أو غيرها ، ونص عبارته : « الأم أحق بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا المحيض أو الاحتلام أو الإنبات مع التمييز وصحة الجسم سواء كانت أمة أو حرة ، تزوجت أو لم تتزوج ، رحل الأب عن ذلك البلد أو لم يرحل » [٤] .

٧ — ويتلخص مما قدمناه أن للفقهاء فى انتهاء مدة الحضانة أربعة مذاهب :

المذهب الأول : الوصول إلى حد الاستغناء، ويتحقق غالبا فى سن التمييز، وقدر ذلك بسبع سنين ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة والحنفية بالنسبة للصغير فقط وللصغيرة فيما إذا كانت فى حضانة غير الأم والجدة فى بعض الروايات ، ويستدلون على رأيهم هذا بأن مهمة الحاضنة هى حفظ الصغير ورعايته والعناية به وتربيته لعدم قدرته وتمييزه ، فاذا وجد لديه التمييز والفهم وأمكنه الاستقلال بأمور نفسه وأضحت له القدرة على مزاولتها

---

[١] حاشية البلوبى وعميره على شرح المنهاج ج ٤ ص ٩١ ، مغنى المحتاج شرح المنهاج ج ٣ ص ٤٤٠ .

[٢] المغنى لابن قدامة ج ٥ ص ٦١٧ طبع المنار ، وانظر أيضا كشاف القناع ، نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٨٠ طبع الحلبى ، الميزان الكبرى للشعرانى ج ٢ ص ١٣٣ طبع الأزهرية .

[٣] ، [٤] المحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٣٢٩ ، ٣٢٣ .

مكتبتنا العربية

من غير معونة أحـــد ـ وغالبا يكون ذلك فى سن السابعة ـ انتهت مهمة الحاضنة ، كما يستدلون بما رواه أحمد وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين » (١) . فان الأب مأمور بأن يأمر الصبي بالصلاة إذا بلغ السابعة من عمره ، وهـذا يقتضى أن يكون الولد عند أبيه فى هذه السن حتى يتحقق أمر الأب له بالصلاة على وجـه الكمال ، كما يقتضى أن يكون الصغير قادرا على الاستقلال بنفسه مستغنيا عن غيره ، إذ لو لم يكن قادرا على مباشرة أموره بنفسه ومنها الصـلاة المحتاجة إلى التطهر بل قدر عليها بمعونة الحاضنة لما أمر بالصلاة ، لأن القدرة شرط التـكليف باتفاق الأصوليين ، والقادر بقـدرة الغير لا يعتبر قادرا .

وهناك رأى بتقدير هذه المرحلة بثمانى سنين ، وهو رأى الليث بن سعد بالنسبة للصغير ورأى فى مذهب الشافعية ، كما أن هناك رأيا آخر بتقديرها بتسع سنين ، وهو رأى فى مذهب الحنفية ، ولعل وجهة نظر هؤلاء أن استقلال الصبي وتميـيزه لا يتحقق على وجه الكمال إلا فى الثامنة أو التاسعة من العمر ، ولـكنا قدمنا أن الراجح والمفتى به فى هذه المذاهب هو السبع .

٨ — المذهب الثانى : سن المراهقة ، وهو ما يعبر عنه بحد الاشتهاء ، وهذا رأى عند الحنفية بالنسبه للبنت إذا كانت فى حضانة غير الأم أو إحدى الجدتين ، ورأى محمد وأبى يوسف فى البنت عنـد جميع الحاضنات ، وقد قدر بعض فقهاء المذهب ذلك بتسع سنين ، وقـدره بعض آخر باحـدى عشرة سنة ، ولكن الفتوى فى المذهب على التسع ، ووجهة نظر هؤلاء أن البنت وإن كانت فى حاجة إلى البقاء مع الحاضنات ـ لما سيأتى فى تعليل ظاهر الرواية ـ إلا أن فساد الزمان وكثرة الفساق يقتضيان أن تكون البنت عند من يحفظها ويصونها من عوامل الإغراء والفساد فى سن مبكرة قبل البلوغ ، ولا أقدر على ذلك من الرجال .

٩ — المذهب الثالث : البلوغ الطبعى بعلامة من علاماته المعروفة ، وهـذا رأى الظاهرية بالنسبة للولد والبنت ، ورأى المـالكية بالنسبة للولد ، ورأى الليث بن سعد بالنسبة للبنت ، وظاهر الرواية عنـد الحنفية فيما إذا كانت الحاضنة أما أو جدة ، ووجهة نظرهم

(١) نيل الأوطار جـ ١ ص ٣٦٠ .

مكتبتنا العربية

ـ فيما عدا الحنفية ـ أن المحضون لايستغنى عن الحاضنة استغناء كليا ولا يستقل بجميع أموره استقلالا تاما إلا بالبلوغ ، فهو إن استقل ببعض الأمور لكنه محتاج إلى المعونة والرعاية فى البعض الآخر ، ولذلك لم توجه إليه الشريعة جميع التكاليف وتعتبره مسئولا عن جميع التصرفات إلا عند بلوغه ، وهـذا دليل كماله واستغنائه عن غيره ، أما وجهة النظر عنـد الحنفيـة فهى أن الصغيرة تستغنى وتستقل بأمورها فى سن السابعة ، ولـكنها بعد هـذا الاستغناء فى حاجة إلى أن تتعلم آداب النساء فى التدبير المنزلى وغيره من غسل وطبخ وخبز وكى وما إلى ذلك ، والنساء أقدر على ذلك من الرجال وبه أدرى وأهـدى ، فاذا بلغت احتاجت إلى التحصين والحفظ ، والرجل على هذا النوع أقدر وأبصر .

١٠ — المذهب الرابع : وقت الزفاف ، وهذا رأى المالكية بالنسبة للمحضونة فقط ، ولعل وجهة نظرهم فى ذلك أن المحضونة ما دامت لم تتزوج فهى فى حاجـة إلى الرعاية والإشراف من النساء ولا تستغنى عنهن نهائيا إلا بزفافها على زوجها ، إذ بهذا تعتبر ربة بيت ، والعادة الغالبة أن البنت لا تتزوج إلا إذا كانت قادرة على القيـام بأمور بيتها من غـير استعانة بأحد .

١١ — هذه هى المذاهب المختلفة فى إنهاء مدة الحضانة ، ووجهة النظر التى بنى عليها الفقهاء آراءهم . ولكننا نلاحظ على رأى المالكية ببقـاء البنت فى حضانة الحاضنة حتى الزفاف الأمور الآتية :

(١) أن الغرض من الحضانة وهو الحفظ والتربية لا يمكن أن يبقى بحال إلى السن التى تتزوج فيها المحضونة ، إذ غاية الحضانة تنتهى باستقلالها عن الحاضنة ونيلها شيئا من آداب النساء ، وهذا يتحقق قبل الزواج بمرحـلة كبيرة ، فالقول بامتـداد الحضانة إلى زواج المحضونة وزفافها قول لايتحقق فيه الغرض المقصود من الحضانة فيكون باطلا .

(٢) أن الصغيرة إذا وصلت إلى سن المراهقـة احتاجت إلى من يصونها ويحفظها ويثقفها ، والرجال أقدر على ذلك من النساء ، وما نظن أن المرأة ـ وخصوصا فى مجتمعنا الحالى ـ قادرة على ذلك على وجه الكمال .

(٣) ما يقوله ابن حزم من أن : « البنت قد تزوج وهى فى المهد ، وقد لا تتزوج وهى

مكتبتنا العربية

بنت تسعين سنة ، ورب بكر أصلح وأنظر من ذوات الأزواج ، وبضرورة الحس يدرى كل أحد أن الزواج لم يزدها عقلا لم يكن ، ولا صلاحا لم يكن » [١]

(٤) أن عرف الناس الذى لا ينكر أن البنت تخطب من وليها لا من الحاضنة لها ، وهذا يقتضى أن تكون البنت عند أبيها فى ذلك الوقت لا عند الحاضنة .

(٥) أن القول ببقاء البنت فى الحضانة حتى الزفاف معناه سلب الأب ولاية الإشراف على تربية بناته ، لأنها إذا استمرت فى الحضانة الى الزفاف ثم انتقلت الى بيت زوجها ـ وللزوج الإشراف والرعاية ـ فأنى يكون للأب إشراف على بناته أو توجيه ؟ وفى هذا ضرر خطير بالمجتمع ، وأى بلاء أنكى وأفتك بالمجتمع من أن تحرم فتياته من حماية الآباء والإشراف عليهن وتربيتهن ، وأن يكون ذلك كله قاصرا على النساء وحدهن ، وقد يقال : إن الأب له الإشراف والتربية والتوجيه على بنته وهى عند حاضنتها . والجواب عن ذلك أن النزاع فى الحضانة إنما يكون عند افتراق الزوجين عن بعضهما و يستتبع هذا ـ كما هو معلوم مشاهد ـ كيد كل منهما للآخر والتربص به والالتجاء إلى المحاكم ودور البوليس ، وهذا من شأنه أن يمنع أو يعرقل إشراف الأب على بناته وتربيتهن من جانب الأم إيذاء للأب و إضرارا به .

١١ — ونلاحظ على القول ببقاء المحضون الى البلوغ ما يأتى :

(١) أن الغرض المقصود من الحضانة ينتهى فى سن السابعة أو بعدها بقليل ، فالقول ببقائها حتى البلوغ قول عار عن الفائدة لتحقق المقصود قبل البلوغ .

(٢) أن بقاء الغلام إلى البلوغ فيه سلب الأب ولاية الإشراف على تربية أبنائه ، إذ من المقرر أن الصغير متى بلغ فله الحرية فى أن يستقل عن أبويه ، وليس لأبيه أن يضمه إليه إلا فى حالات مخصوصة .

(٣) أن البنت إذا بلغت سن المراهقة احتاجت الى من يحميها و يصونها ، والأب أقدر على ذلك من الحاضنة .

١٢ — كما نلاحظ أخيرا أن حد الاستغناء الذى يعبر عنه بعض الفقهاء بحد التمييز

---

[١] المحلى لابن حزم جـ ١٠ ص ٣٢٩ وما بعدها

مكتبتنا العربية

ويحددونه بسبع سنوات يحقق الغاية المقصودة من الحضانة ، إذ الصغير فى هذه السن غير محتاج إلى الحاضنة فى أموره لقدرته وتمييزه ، ولذلك تكاد تتفق كلمة فقهاء الشريعة على أن الصبى المميز هو من بلغ سبع سنين ، ولذلك أيضا خاطبه الشارع فى هذه السن بأول خطاب ، حيث أمر الآباء بأن يأمروا الأبناء بالصلاة فى سن السابعة ، وقد جعلت الدولة سن الإلزام فى التعليم ست سنوات ، وما نظن أنها ألزمت الآباء بأن يرسلوا أبناءهم و بناتهم مع الحاضنات إلى دور التعليم ، غير أن البنت بطبيعتها تحتاج إلى مزيد من آداب النساء وتربيتهن ، ويكفى فى هذا أن تكون فى حضانة النساء إلى سن المراهقة ؛ فتبقى فى حضانتهن إلى التاسعة من عمرها ، ومع ذلك فيجب أن تعطى للقاضى فسحة فى أن يأذن بامتداد الحضانة لكل من البنت والولد سنتين بعد ذلك أخذا بأحد رأيين فى مذهب الحنفية إن رأى داعيا إلى ذلك فى بعض الحالات : كمرض أو هزال أو غير ذلك من الحالات التى تستدعى بقاء المحضون فى رعاية الحاضنة ، وهذا هو ما نراه مناسبا لحال الأمة الاجتماعية ، رعاية لمصلحة الصغار ونظرا لهم وضمانا لنشء سليم قادر على تحمل أعباء الحياة وتبعاتها ، وعلى ذلك فلا نرى داعيا لتغيير المادة رقم ٢٠ من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الخاصة بجعل سن الحضانة للولد سبع سنوات وللبنت تسع سنوات مع جواز الإذن بامتداد الحضانة إلى سنتين بعد ذلك ، بل إننا نرى أن التغيير ورفع السن فوق ذلك مفسدة تعود على المجتمع بالضرر والوبال لما بيناه .

٣ — التخيير بين الابوين

عند انتهاء الحضانة

١ — إذا انتهت حضانة الحاضنة فهل يخير المحضون بين البقاء مع أمه أو الانتقال إلى أبيه ؟

اختلف الفقهاء فى ذلك — :

فذهب الشافعى وإسحاق بن راهويه إلى أن الصغير أو الصغيرة إذا بلغ كل منهما السابعة من عمره خير بين البقاء مع أمه أو الذهاب مع أبيه ، فإن اختار أمه بقى معها وإن اختار أباه دفع إليه .

وذهب أحمد بن حنبل إلى أن التخيير خاص بالولد ، أما البنت فإنها لا تخير وتدفع إلى أبيها وجوبا .

مكتبتنا العربية

وذهب الحنفية والمالكية والظاهرية إلى أنه لا تخيير أصلا ، ولذا كان المحضون أو بنتا ، وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن أحد الأبوين إذا كان أصلح من الآخر قدم عليه ، أما إذا لم يعلم ذلك خير المحضون بين أبويه أو استهما عليه (١) .

وينبغي أن يلاحظ أن من يقول بالتخيير يقيد ذلك بأمرين : ـ الأول ـ أن يكون كل من الأب والأم أهلا للحضانة ، فإن كان أحدهما غير أهل لها كان كالمعدوم ويتعين الآخر . ـ الثاني ـ ألا يكون المحضون معتوها ، فإن كان معتوها فإنه لا يخير ويبقى عند الأم .

٢ — استدل من يقول بالتخيير بما يأتي :

أولا : بما رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خير غلاما بين أبيه وأمه ، وفي رواية — رواها أبو داود — أن امرأة جاءت فقالت : يا رسول الله : إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبة وقد نفعني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استهما عليه ، فقال زوجها : من يحاقني في ولدي ؟ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا أبوك وهذه أمك فخذ بيد أيهما شئت ، فأخذ بيد أمه فانطلقت به .

ثانيا : بما رواه أحمد والنسائي عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن جده ، أن جده أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فجاء بابن له صغير لم يبلغ ، قال : فأجلس النبي صلى الله عليه وسلم الأب ههنا والأم ههنا ، ثم خيره ، وقال : اللهم اهده ، فذهب الى أبيه ، وفي رواية رواها أحمد وأبو داود عن عبد الحميد بن جعفر قال : أخبرني أبي عن جدي رافع بن سنان أنه أسلم وأبت امرأته أن تسلم ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ابنتي وهي فطيم أو شبهه ، وقال رافع : ابنتي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقعد ناحية ، وقال لها : اقعدي ناحية ، فأقعد الصبية بينهما ، ثم قال : ادعواها ، فمالت إلى أمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اهدها فمالت إلى أبيها فأخذها .

فهذه النصوص واضحة في التخيير بين الأبوين وأنه لا فرق بين الغلام والجارية كما هو واضح من رواية أحمد وأبي داود عن عبد الحميد بن جعفر ، فإن التي قد خيرت في هذه الرواية كانت بنتا .

---

[١] المراجع السابقة في البحث السابق ، وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٣ ص ١٦٤ ، نيل الأوطار جـ ٦ ص ٢٨١ ، المحلى لابن حزم جـ ١٠ ص ٣٢٦ ، ٣٣١ .

مكتبتنا العربية

ثالثا : ان المقصود من الحضانة النظر إلى المحضون ورعاية مصلحته ، والمميز أعرف بحظه ومصلحته فيرجع إلى رأيه واختياره ، وهـذا أمر يتساوى فيه الذكر والأنثى ، وفى ذلك يقول ابن قدامة فى المغنى : إن المقصود هو مصلحة الصغير بدفعه بعد الاستغناء الى من هو أشفق عليه وأكرم ، ولما لم يمكن الوصول الى حقيقة الشفقة اعتبرنا مظنتها وهى اختيار المحضون ، فأنه إذا بلغ السابعة استطاع أن يعرب عن نفسه ويميز بين الإكرام وضده ، فأذا مال إلى أحـد الأبوين دل ميله على أنه أرفق به وأشفق عليه وأن حظه ومصلحته فى أن يكون عنده .

٣ — غير أن الإمام أحمد يقول : إن النصوص لم ترد إلا فى الغلام ، وما ورد فى بعض الروايات من تخيير البنت فانها لم تصح ، وكذلك إجماع الصحابة قد ورد فى الغلام لا فى البنت ، فروى عن عمر أنه خير غلاما بين أبيه وأمه رواه سعيد ، وروى عن عمارة الجرمى أنه قال : خيرنى على بين أمى وأبى وكنت ابن سبع أو ثمان ، وروى نحـو ذلك عن أبى هريرة ، وهذه قصص فى مظنة الشهرة فـكانت إجماعا [١] .

٤ — واستدل من لايرى التخيير بمـا يأتى :

أولا : بما رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثدبى له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه منى فقال : «أنت أحق به ما لم تنكحى» فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقيد أحقية الأم به إلا بأمر واحد وهو عدم الزواج ، ولو كانت أحق به عند التخيير لبين لها ذلك ، فحيث اقتصر على ذلك دل على أنه لا تخيير .

ثانيا : بمـا رواه البخارى ومسلم عن البراء بن عازب أن ابنة حمزة اختصم فيها على وجعفر وزيد ، فقال على : أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وقال جعفر : بنت عمى وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى ، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها ، وقال : الخالة بمنزلة الأم ، فهذا قضاء من الرسول عليه الصلاة والسلام لم يخير فيه فدل ذلك على أنه لاتخيير .

ثالثا : بأن الصبى وإن وصـل إلى سن التمييز فان عقله لا زال قاصرا ولا يعرف مصلحته ، فربما اختار من يلعب عنده ويترك تأديبه ويمكنه من شهواته ، فيؤدى إلى فساده .

---

[١] المغنى جـ ٧ ص ٦١٤

مكتبتنا العربية

٥ — واستدل ابن تيمية وابن القيم بالأدلة العامة من مثل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ولا تتحقق وقاية الأهل والأولاد إلا بدفعهم إلى الأصلح عند ظهوره فيكون أحق به من غيره ، ولأن المصلحة فى دفع الصغير إلى الصالح من أبويه فيتعين المصير اليه ، كما جعلنا المناط فى الحضانة مصلحة الصغير دون غيرها ، وقد حكى ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه قال : تنازع أبوان صبيا عند الحاكم ، فخير الولد بينهما ، فاختار أباه ، فقالت أمه : سله لأى شىء يختاره ؟ فسأله فقال : أمى تبعثنى كل يوم إلى الكاتب والفقيه وهما يضربانى وأبى يتركنى ألعب مع الصبيان فقضى به للأم .

٦ — هذه هى أدلة الفقهاء فى موضوع التخيير ، وقد رد من لا يرى التخيير على أحاديث التخيير بأن حديث أبى هريرة بتخيير النبى صلى الله عليه وسلم غلاما بين أبيه وأمه محمول على غلام بالغ ، بدليل ماورد فى بعض روايات هذا الحديث — وهى رواية أبى داود — أن الغلام كان يستقى من بئر أبى عنبة ، ومن دون البلوغ لا يرسل إلى الآبار للاستقاء منها للخوف عليه من السقوط فيها لقلة عقله وعجزه عن الاستقاء غالبا ، ولا شك أن البالغ مخير بين أن يكون عند أحد أبويه و بين أن ينفرد بالسكنى [١] .

أما حديث عبد الحميد بن جعفر ففى إسناده اختلاف كثير ، وألفاظه مختلفة ، فرواية تذكر أن المخير كان غلاما ، وأخرى أن المخير كان بنتا ، ومرة تذكر أن المخير اختار أباه أول الأمر ، ومرة تذكر أنه اختار أمه أولا ثم اختار أباه بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذلك قال فيه ابن حزم : إن هذا الحديث لم يصح قط ، وعلى فرض صحته فان المخير إنما وفق لاختيار الأصلح له ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام ، ومثل ذلك لا يتحقق بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق إلا أن يدفع إلى من يظن فيه المصلحة بعد انقضاء مدة الحضانة ، والأب هو المظنة دون الأم لما قدمنا فيدفع إليه (٢) .

أما القول بأن الصبى المميز أعرف بمصلحته فقول يدفعه الواقع ، إذ لم يقل أحد بأنه كامل الإدراك والتمييز ، بل إن الشافعية لا يصححون له تصرفا من التصرفات قبل البلوغ ، لأن وجود الولى شرط فى ذلك عندهم ، وقد يدفعه قصور عقله إلى اختيار من يدلله و يخلى بينه و بين اللعب فيترتب على دفعه إليه ضياع الصبى وفساده .

---

[١] و [٢] فتح القدير ج ٣ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، نيل الأوطار ج ٦ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، المحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٣٢٧

مكتبتنا العربية

٧ — أما ادعاء الحنابلة الإجماع على التخيير فى الغلام فانه لم يصح هـذا الإجماع ، وكيف يصح ثم يخالفه مثل أبى حنيفة ومالك ، أما الوقائع التى جعلها مستند الإجماع فقد نقل عن بعض الصحابة أنهم لم يخيروا كما نقله صاحب الهداية ، وعلى فرض عدم المخالف فغايه ما تفيده هذه الوقائع هو الإجماع السكوتى ، وهو مختلف فى الاحتجاج به .

٨ — ويلاحظ على رأى ابن القيم وشيخه ابن تيمية أننا نقول أيضا بدفع المحضون إلى الأصلح والأشفق ، لكن هذا لا يمكن الوصول إلى حقيقته لخفائه ، والحكم فى مثله يناط بمظنة المصلحة ، والمظنة فى دفعه إلى الأب لأنه مظنة الإشفاق والعطف على ولده بما يحقق مصلحته الكاملة ، فيجب الدفع إليه .

أما كون الأب مهملا مضيعا ولده فهذا إنما يظهر بعد ضمه ، ومثل هـذا أمر نادر لمخالفته الجبلة الطبيعية والفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ومع ذلك فاننا فى هذه الحالة نرى أن يقوم ولى الأمر بتعزيره وإرغامه على أن يسلك الطريق السوى فى رعاية ابنه وتربيته تربية كامله .

٩ — أما أحاديث من لا يرى التخيير فأننا نرى أنها محل نقاش ، فأن حديث « أنت أحق به ما لم تنكحى » قد قيد بما إذا فعلت نعلا يسقط حضانتها ، فانها ليست أحق به فى هذه الحالة ، وعلى ذلك فالقائلين بالتخيير أن يقيدوه بأحاديث التخيير و يجمعون بينها ، ويكون المعنى : أنت أحق به مالم تنكحى ومالم يختر أباه إذا بلغ مرحلة التمييز . أما حديث ابنة حمزة فأنما يصح الاستدلال به لو علمنا أن ابنة حمزة قد وصلت إلى سن التمييز والادراك ، ومالم نعلم ذلك فيحتمل أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد دفعها إلى الحاضنة لأنها لم تصل إلى هذه المرحلة ، فيكون الحديث فى غير محل النزاع ، فلم يبق معنا مايصلح للاستدلال إلا قصور عقل المحضون الذى قد يدفعه إلى اختيار غير الصالح له فيضر ذلك به مع وجود أبيه الذى يعتبر الدفع إليه مظنة المصلحة ، فيجب المصير إلى ذلك وعدم التخيير .

والله الهـادى إلى سواء السبيل ، وهو أعلم بالصواب ؛

عيسوى أحمد عيسوى
المدرس بكلية حقوق عين شمس

مكتبتنا العربية

بحـــوث

فى مصادر الشريعة النظرية

— ١ —

اتفقت كلمة العلماء على أن الشريعة الإسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع التى تحدث للناس فى هذه الحياة ، فلا توجد واقعة إلا لها حكم مدلول عليه فيها ، غير أنه سبحانه لحكمة بالغة لم ينص على كل أحكامه ، بل نص على بعضها فى كتابه الكريم ، أو سنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وسكت عن النص على أكثر الأحكام ، ولكنه أقام عليها دلائل أخرى ، وأرشد الناس إليها ، ومهد الطرق التى توصلهم إلى معرفتها ، ليتوصل المجتهدون وأهل الذكر إلى معرفة الحكم فيما لم يدل على حكمه نص فى الكتاب أو السنة . يقول الإمام الشافعى فى رسالته الأصولية : « كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم ، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة ، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم اتباعه ، و إذا لم يكن فيه بعينه حكم طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد » [١] .

وهذا النوع من الدلائل هو ما قصدنا الكلام عليه فى هذه البحوث ، وسيرى المطلع على هذه المصادر أنها معين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، وأنها تتناول أحكام ما لا يتناهى من الحوادث ، وكل ما يمكن تصوره من الوقائع ، وأن فيها من المرونة والخصوبة ما يكفل حركة تشريعية متجددة ، وقوانين وأحكاما تتطور بتطور أحوال الناس ، وتسع مقتضيات العصور على اختلافها ، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها ، وأن فيها البرهان العملى على سماحة الشريعة وملاءمتها لكل الأزمنة ، والحجة الدامغة فى وجه الطاعنين عليها بالجمود ، وأنها ليست — كما يزعم بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم — ضيقة المجال لا تفى بأحكام الحوادث ، أو قديمة العهد لا تلائم ماجد من المعاملات ومقتضيات الحياة فى العصور الحديثة .

---

[١] الرسالة ص ٤٧٧ .

مكتبتنا العربية

وهذه المصادر كثيرة، وسنقتصر هنا على أهمها وهى: القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، وسنتكلم فيها على هذا الترتيب.

١ — القياس

القياس: هو أول مصدر تشريعى يلجأ إليه المجتهد لاستنباط الحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع، وهو أوضح طرق الاستنباط وأقواها، وبه تعرف أساليب الشريعة، ويوقف على أسرارها ودقائقها، إذ هو المرشد لمعرفة عالى الأحكام، والوسيلة إلى الإحاطة بمقاصد الشريعة الغراء من جلب المصالح ودرء المفاسد.

وبيان ذلك: أن الأحكام التى وردت النصوص بها مبنية — كما يقول المحققون من العلماء — على علل وأسباب شرعت لأجلها، وأن لكل حكم شرعى حكمة تلائم شرعه، ومرجع هذه الحكمة إلى تحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل معا، وقد أشار الشارع إلى هذا بما بينه من مقاصده فى بعض ماشرعه، فقال تعالى فى آية الوضوء: «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم» [١] وقال فى الصلاة: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» [٢] وقال فى الصيام: «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» [٣] وقال فى فرض الزكاة: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» [٤] وقال فى الحج: «ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام» [٥] وقال فى إيجاب القصاص: «ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون» [٦] وقال فى الفىء: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» [٧] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فى وجه طهارة الهرة: «إنها من الطوافين عليكم والطوافات» وقال فى وجه المنع عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه: «أرأيت إن منع الله الثمر بم يأخذ أحدكم مال أخيه» وقال فى المنع عن الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها: «إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم» إلى غير ذلك من النصوص التى تدل على أن

---

[١] آية: ٦ من سورة المائدة
[٢] آية: ٤٥ من سورة العنكبوت
[٣] آية: ١٨٣ من سورة البقرة
[٤] آية: ١٠٣ من سورة التوبة
[٥] آية: ٢٨ من سورة الحج
[٦] آية: ١٧٩ من سورة البقرة
[٧] آية: ٧ من سورة الحشر

مكتبتنا العربية

المقصود من تشريع الأحكام رعاية مصالح الناس أفرادا وجماعات ، وإذا كانت الأحكام المنصوص عليها قائمة على رعاية المصالح ، فاذا قرر الشارع للواقعة حكما ، ونبه فى الآية أو الحديث على المصلحة المناسبة لتقريره ، أو كانت تلك المصلحة ظاهرة ظهورا لا شبهة فيه ، كان للمجتهد أن يعمد إلى كل واقعة تحققت فيها تلك المصلحة ، ويسوى بينها وبين الواقعة المنصوص عليها فى الحكم ، وهذا هو ما يعرف عند الأصوليين بالقياس .

فالقياس ـ عندهم ـ أن يقصد المجتهد إلى حكم واقعة من الوقائع التى ورد النص أو الإجماع بحكمها فيثبته لواقعة أخرى لم يرد نص ولا إجماع بحكمها ، لاشتراك الواقعتين فى علة الحكم ومصلحته .

فاذا دل الكتاب أو السنة أو الإجماع على حكم واقعة وعرف المجتهد المصلحة التى قصدها الشارع من تشريع الحكم وأدرك العلة الظاهرة التى ربط تشريعه بها ، ثم وجد واقعة أخرى لم يرد حكمها فى واحد من هذه الأدلة ولكنها تشترك مع الواقعة الأولى فى تلك العلة فانه يغلب على ظنه اشتراك الواقعة التى سكت الشارع عنها مع الواقعة المنصوص أو المجمع عليها فى الحكم بناء على اشتراكهما فى العلة ، وعندئذ يلحق الواقعة التى سكت الشارع عن بيان حكمها بالواقعة التى بين الشارع حكمها ويسوى بينهما فى الحكم . فهذا الإلحاق والتسوية يسمى قياسا فى اصطلاح الأصوليين ، وما ورد النص أو الإجماع بحكمه يسمى عندهم بالأصل أو المقيس عليه ، وما لم يرد النص أو الإجماع بحكمه يسمى بالفرع أو المقيس ، والمعنى الذى لأجله شرع الحكم فى المنصوص أو المجمع عليه يسمى بالعلة ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ ـ قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »(١) .

أفاد هذا النص الكريم تحريم الخمر ، وبين المعنى المقتضى لهذا التحريم ، وهو ما يترتب على شرب الخمر من المفاسد الدينية والدنيوية من الصد عن طاعة الله تعالى وإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس .

والخمر ـ عند علماء الحنفية ـ اسم لشراب خاص ، وهو المتخذ من عصير العنب

---

[١] آية : ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة

مكتبتنا العربية

من غير طبخ بالنار(١) وعلى هذا لا يكون هذا النص متناولا لغير الخمر من الأشربة الأخرى كالنبيذ ونحوه ، ولكن هذه الأشربة يترتب على شربها ما يترتب على شرب الخمر من المفاسد التى بينها الله تعالى فى كتابه فيكون حكمها حكم الخمر وهو التحريم بطريق القياس .

٢ — وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يتناجى اثنان دون واحد فان ذلك يحزنه » (٢) فانه ينهى عن تناجى الاثنين وانفرادهما بالحديث سرا إذا كان معهما ثالث ، وبين العلة فى هذا النهى وهى أن الاثنين إذا تناجيا دون رفيقهما أحدث هذا العمل حزنا له ، وأوقع فى نفسه أنه ليس أهلا للسر أو أن حديثهما فى شأنه ، وذلك مما يكدر صفو الإخاء بين الناس ويقطع حبل الأخوة والصداقة بينهم ، وتوجد واقعة أخرى لم يبين الشارع حكمها ولكنها تشترك مع الواقعة المنصوص عليها فى هذه العلة ، وهى أن يتحادث اثنان بلغة لا يعرفها رفيقهما إذا كانا يجيدان الحديث بلغة يعرفها الرفيق ، فالمجتهد أن يقيس هذه الواقعة على الواقعة التى ورد النص بها ويحكم بالنهى عنها بطريق القياس .

هذا هو معنى القياس ، وهذه بعض أمثلته ، ومنها يتبين أن مدار القياس على مساواة الواقعة التى سكت الشارع عن بيان حكمها للواقعة التى بين الشارع حكمها ومشاركتها لها فى علة الحكم وإدراك المجتهد لذلك ، وهذا أمر لا يختلف فيه القائلون بحجية القياس ، كما أنهم لا يختلفون فى أن القياس المتعارف عند الفقهاء فى مواطن الاستدلال وعند الأصوليين فى مواطن البحث عن أحواله هو القياس بمعنى فعل المجتهد ، وهو إدراك ثبوت حكم المنصوص أو المجمع عليه للمسكوت عنه استنادا إلى مساواتهما واشتراكهما فى علة الحكم ، وإنما يختلفون فى النظر إلى هذه الأمور والبناء عليها فى تحديد القياس وبيان مفهومه ومعناه من حيث هو دليل شرعى كغيره من الأدلة الشرعية : كالكتاب والسنة والإجماع ، وكان لهم فى تعريفه طريقتان :

طريقة تعرفه على أنه فعل صادر عن المجتهد متعلق بالمقيس والمقيس عليه ، وهذه هى طريقة المتقدمين : كالإمام أبى منصور الماتريدى ، والقاضى الباقلانى ، وأبى الحسين البصرى ، وجرى عليها بعض المتأخرين : كفخر الدين الرازى ، وابن السبكى ، وصدر الشريعة .

وطريقة تعرفه على أنه معنى قائم بكل من المقيس والمقيس عليه يقتضى اشتراكهما

---

[١] راجع بدائع الصنائع جـ ٥ ص ١١٢

[٢] بلوغ المرام مع شرح سبل السلام جـ ٤ ص ١٣٦

مكتبتنا العربية

فى الحكم، وهذه طريقة بعض المتأخرين: كالآمدى، وابن الحاجب، والكمال بن الهمام، ولكل من الطريقتين تعريفات كثيرة نذكر هنا أهمها :

أهم التعريفات على طريقة المتقدمين :

أورد المتقدمون تعريفات كثيرة للقياس أهمها تعريف القاضى البيضاوى وتعريف ابن السبكى. أما القاضى البيضاوى فقد عرفه فى كتابه « المنهاج» بقوله : «القياس إثبات حكم معلوم فى معلوم آخر لاشتراكهما فى علة الحكم عند المثبت» (١) أى فى نظر القائس وهو المجتهد.

وأما ابن السبكى فقد عرفه فى « جمع الجوامع» بقوله : « القياس حمل معلوم على معلوم لمساواته له فى علة حكمه عند الحامل » [٢] .

وهما تعريفان بمعنى واحد فكلاهما يجعل القياس اسما لإدراك المجتهد ثبوت حكم المقيس عليه للمقيس لاشتراكهما فى علة الحكم فى نظره واعتقاده سواء أكان مطابقا للواقع أم مخالفا له، وهو ما عبر عنه الأول بقوله : « اثبات حكم معلوم ... الخ » وعبر عنه الثانى بقوله : « حمل معلوم ... الخ » .

أهم التعريفات على طريقة المتأخرين :

وقد أورد المتأخرون أيضا تعريفات كثيرة للقياس على طريقتهم، أهمها تعريف ابن الحاجب المالكى الذى يعتبر أصلا لما عداه من تعريفات المتأخرين وهو : «القياس مساواة فرع لأصل فى علة حكمه» [٣] وهو تعريف واضح فى أن القياس اسم لنفس المساواة بين الفرع والأصل فى علة الحكم ، وليس اسما لإدراك المجتهد هذه المساواة وإثبات الحكم فى المسكوت عنه بناء على ذلك ، كما هو رأى المتقدمين .

ولكل من الفريقين وجهة فيما ذهب إليه، أما المتقدمون فانهم نظروا إلى أن القياس مأمور به من قبل الشارع ، وهذا يقضى بأن القياس الشرعى هو فعل المجتهد ، لأن الأمر - كما هو مقرر - لا يتعلق إلا بفعل المكلف ، وفعل المكلف إنما هو إدراك الحكم فيما لا نص فيه ولا إجماع المستند إلى المساواة والمشاركة فى علة الحكم ، أما نفس المساواة والمشاركة فليست من عمله وإنما هى من صنع الشارع وجعله .

---

(١) المنهاج للبيضاوى بشرح نهاية السول لجمال الدين الأسنوى المطبوع بهامش التقرير والتحبير شرح التحرير ج ٣ ص ٢١٧

[٢] جمع الجوامع بشرح الجلال المحلى وحاشية العطار عليه ج ٢ ص ١٢٨

[٣] المختصر لابن الحاجب مع شرح العضد ج ٢ ص ٢٠٤

مكتبتنا العربية

وأما المتأخرون فانهم نظروا إلى أن القياس حجة شرعية موضوعة من قبل الشارع ، وهذا يقتضى أن يكون القياس وضعا إلهيا متقررا فى ذاته ، سواء نظر فيه المجتهد أو لم ينظر.

وعلى هذا لا يكون فعلا للمجتهد ، ولا متوقفا على نظره ، كما هو الشأن فى سائر الأدلة الشرعية ، ولا ريب أن الذى يصدق عليه أنه كذلك هو المساواة والمشاركة فى العلة لأنها وضع إلهى متقرر فى ذاته نظر فيه المجتهد أولا ، أما فعل المجتهد فانه ليس وضعا إلهيا ولا متقررا فى ذاته ، لتوقفه على نظره واجتهاده ، بجعله حقيقة القياس ـ كما قال المتقدمون ـ يخرجه عن سنن الأدلة الشرعية ، ويجعله بدعا منها .

وقد أجاب أتباع المتقدمين عما تضمنه كلام المتأخرين من نقد لطريقة المتقدمين بأن كون القياس حجة شرعية موضوعة من قبل الشارع لاينافى أن يكون فعلا للمجتهد ، إذ لامانع من أن يجعل الشارع فعل المجتهد المستند إلى المساواة فى العلة دليلا له على حكم الفرع ، ففعل المجتهد من جهة جعل الشارع له دليلا يصدق عليه أنه وضع إلهى ، ومن جهة استناده إلى المساواة التى هى متقررة فى ذاتها يصدق عليه أنه متقرر فى ذاته ، فتعريف القياس بفعل المجتهد ـ كما جرى عليه المتقدمون ـ لاينافى أنه حقيقة شرعية موضوعة من قبل الشارع ، ولا يخرجه عن سنن الأدلة الشرعية .

وبعد بيان طريقة الأصوليين فى تعريف القياس ووجهة نظر كل فريق نرى أن الخلاف بينهم فى ذلك خلاف نظرى ، لا يترتب عليه أى أثر من الناحية العملية ، وذلك لأنهم يتفقون جميعا على أن المعول عليه فى القياس ـ كما قدمنا ـ هو المساواة بين المقيس والمقيس عليه فى علة الحكم ، سواء أكانت هذه المساواة جزءا من مفهوم القياس ـ كما قال المتقدمون ـ أو نفس مفهومه ـ كما قال المتأخرون ـ وأن المعتبر فى تحقق هذه المساواة هو نظر المجتهد واعتقاده لا الواقع ونفس الأمر ، وأنه عند العمل والاحتجاج بالقياس لاتفترق المساواة عن عمل المجتهد ، لأن المساواة من غير عمل من المجتهد يظهرها ويكشف عنها لا يترتب عليها أثر ، وعمل المجتهد من غير مساواة يستند إليها لا يعتبر ، وعلى هذا لا يكون هناك أى حرج فى الأخذ بكل من الطريقتين ، وإطلاق القياس على كل من المعنيين : إدراك المجتهد ، والمساواه بين الشيئين ؛

« يتبع »

زكى الدين شعبان
مدرس الشريعة بحقوق عين شمس

مكتبتنا العربية

عيد الأم

إن تسلنى عن هداتى فى حياتى ... قلت : أمى (نعم يوم الأمهات)
صاحبتنى قبل أن أزهى بروحى ... فهى روحى فهى أصل الكائنات
ولدتنا أرضعتنا هذبتنا ... أسعدتنا من بنين وبنات
عمر الدنيا بنوها بعقول ... وجسوم فازدهت بالمنشآت
كل راع بعدها فرع لأصل ... فهى تزهو فى أعالى الدرجات

شرعة الإسلام أعلت مستواها ... وأحلتها رفيع المنزلات
ذكر التاريخ مما أحسنته ... ما بنت من فاضل أو فاضلات
وتغنى الشعر بالفضل قديما ... وحديثا بالجهود الصادقات

فاحفظوا للأم أفعالا جساما ... وانقشوها فى القلوب الواعيات
كرموها فى وفاء خلدوها ... بولاء فى سجل الخالدات
وارتجوا منها أسودا عاديات ... وجهوا مصر رشيد الوجهات
أنقذوها أكرموها جنبوها ... دولة الظلم بأيد عاتيات
(بجمال) هو رئبال عتيد ... بين أشبال الحروب الضاريات
وارتجوا منها عظيما مثل (تاج) ... طاب نفسا صح عزما فى ثبات
ذو اعتراف بحقوق الأمهات ... ومداها فى محيط الخدمات
فانبرى يهدى إليها الدين صرفا ... سائغا فى (معهد للفتيات)
جعل الأزهر يشدو بأياديه ... العظام الخالدات الطيبات

محمد صالح الريدى

المشرف العام على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم
والمراقب العام للغة العربية بوزارة التربية سابقا

مكتبتنا العربية

الأزهر ، والأزهر وحده

تسير حكومة الثورة قدما نحو أهدافها الإصلاحية فى تناسق محكم ، فليس فى الجمهورية المصرية ناحية لم تبعث فيها يد الثورة حركة نشاط نحو التقدم والكمال : ففى الجيش ، وفى التعليم ، وفى الصناعة والزراعة ، وفى الإنشاء والتعمير ، وفى غير ذلك حركات قوية وعنيفة للابتكار والتنفيذ ، وقد انبعث الشعب بهيئاته المختلفة للسير فى الطريق الذى رسمته الثورة ، وسرت فيه روح النشاط والجد ، وأخذت الجماعات تسهم بنصيبها من الإصلاح المنشود ، كل فى المحيط الذى يناسبه . ولقد أصبح الشعب لأول مرة كتلة متعاونة متماسكة تعمل جادة غيورة للوطن لا للأفراد والطوائف .

وقد كان للثورة نشاط بارز فى النواحى الدينية — وهى جديرة بالنشاط والعناية — لأنها أولى الوسائل لإصلاح الشعوب ، وإذا استقام للشعوب أمر دينها فقد استقامت لها حياتها . والدين مجموعة من المثل العليا لأرقى الجماعات تقودها إلى أفضل المدنيات . وكان من أهم أعمالها إنشاء المؤتمر الإسلامى الذى يربط بين الشعوب الإسلامية ، ويقوم بدراسة أحوالها ، ويضع لها ما يلائم من النظم التى تأخذ بيدها وتنهضها من عثرتها ، وتستثير عزائمها لتنافس الأمم فى ميادين الفكر والعمل ، والقوة والعزة والكرامة ، وقد استجابت بعض الهيئات لروح الثورة فى سبيل الإصلاح الدينى فأنشأت معاهد للدراسات الدينية بأسماء مختلفة ، فأخذت هذه الهيئات تلفق فى هيئات التدريس من هنا وهناك ، وتنفق الكثير من الأموال فى مكافأة الأساتذة وأجور الأماكن وفى الشئون الأخرى .

وإنا إذ أحسنا الظن بالقائمين على هذه المعاهد نقول لهم : إنهم قد جانبهم التوفيق فى وجوه نشاطهم هذه ، ولم يتأثروا بروح الثورة فى أسلوبها الإصلاحى — وهو الوصول الى الهدف بأقل ما يمكن من النفقات ودون توزيع للجهود والأعمال .

إن هذه المعاهد كما خبرناها صورة مكررة للدراسات الأزهرية فى المواد الدينية ، وأبرز مدرسيها هم أساتذة الأزهر ، وأبرز طلبتها فى هذه المواد هم أيضا طلبة الأزهر ، ولو تخلف هؤلاء وأولئك عن هذه المعاهد لفتر نشاطها ، وأصبحت صورا لا حياة فيها .

مكتبتنا العربية

وما يلقيه أساتذة الأزهر من المواد العلمية فى هذه المعاهد ـ وإن كان جديدا على غير طلبة الأزهر ـ هو أيضا صورة مكررة مما يدرسونه بكليات الأزهر ومعاهده الثانوية مع تحوير شكلى لا يغير من واقع الأمر شيئا. ولا أقول ذلك تعصبا للأزهر ولا خشية عليه، فلن يضير الأزهر ولن يحط من مكانته الإسلامية، أن يقوم بجواره معهد ومعاهد، فقد أقيم بجوار الأزهر معاهد ثم زالت وبقى هو خالدا على الزمن خلود رسالته على الأزمان.

إنما أقول ذلك توفيرا لجهود القائمين على هذه المعاهد، وتوفيرا لأموال الدولة أن تنفق فيما لا يجدى ولا يفيد.

قد يكون الباعث على إنشاء هذه المعاهد إعداد طائفة من الرجال إعدادا دينيا، يقومون بنشر رسالة الإسلام فى الأقطار الإسلامية فى قوة ونجاح، وفى هذا اتهام للأزهر نغض الطرف عنه، ونناقش الفكرة فنقول: إذا كان عالم الأزهر الذى قضى خمسة عشر عاما فى الدراسة الدينية المستفيضة، وقضى وقتا غير قصير فى تدريسها ونشرها، لا يحسن أداء هذه الرسالة، أفيستطيع خريج المدارس المدنية ـ بعد دراسة شهرين فى بعض هذه المعاهد، وسنتين فى بعضها دراسة مسائية متقطعة ودراسة عامة شكلية ـ أن يحسن أداءها بأكمل مما يؤديها خريج الأزهر؟ وأين هى الثقة التى يوليها المسلمون فى أقطار الأرض لهؤلاء الخريجين؟ لقد استقر فى نفوس المسلمين فى أنحاء الأرض أن أحكام الدين إذا لم تؤخذ عن أفواه علماء الأزهر فلن يتوافر لها الاطمئنان والقبول.

وبعد هذا ما الذى قصر فيه علماء الأزهر حتى نولى وجوهنا شطر غيرهم ليقوموا عنهم بما فشلوا فيه؟ وهل شكت أمة من الأمم الإسلامية ممن بعث إليها من علماء الأزهر؟ وهل اتهمتهم بالعجز والقصور، فنحاول أن نتدارك ذلك بخريجى هذه المعاهد الذين يتمون دراستهم الدينية فى شهرين أو عامين؟ إننا نعرف عن يقين أن أقطار العالم الإسلامى ترحب بعلماء الأزهر وتقدر رسالتهم وتوليهم ثقتها وتلتمس المزيد منهم، وفى المكاتب المختصة بمشيخة الأزهر رسائل تفيض بالثناء والتقدير على مجهوداتهم، وتشهد لهم بالنجاح فى مهماتهم، وتستطيع مشيخة الأزهر لو أرادت المفاخرة والمباهاة أن تنشر صفحات غراء لأبناء الأزهر فى ميدان الجهاد الإسلامى.

وإذا كانت الحال كما ذكرت وأن أكثر دارسى المواد الدينية بهذه المعاهد من أعلام الأزهر وأكثر المنتسبين إليها من الطلبة من أبناء الأزهر، أفلا يكون من العبث

مكتبتنا العربية

أن تقوم هـذه المعاهد الى جوار الأزهر تشاركه فى رسالته دون جـدوى ؟ وأليس من الأولى أن توفر نفقات هذه المعاهد لتصرف فيما هو أجدى وأنفع ؟

لا نظن أن لهذه المعاهد أغراضا خفيـة تمس الأزهر ورسالته حتى ندعو الأزهر إلى مناهضتها ، ومناهضتها يسيرة هينة ، وماهى إلا أن يكف عن معاونتها أساتذته وطلابه فاذا هى أجسام لاحياة فيها ، و إذا هى أطلال تنعى من بناها .

نعم قد يحس بعض الأمم الإسلامية بفراغ من الناحية الدينية ، فلا يجد حاجته من علماء الدين ممن ينشر بينهم الثقافة الدينية ، ولكن ليس هـذا من تقصير الأزهر ولا من تقصير علمائه ، وما تهيب علمـاء الأزهر أن يهاجروا فى سبيل الله إلى أقصى الأقطار لو انتدبوا لها ، ومنهم الآن علماء فى الصومال واريتريا ونيجريا وغيرها ، ولكن العـلة فى ذلك أن ميزانية الأزهر محـدودة لا تستطيـع أن تلبى رغبات المسلمين جميعهم فى بعث البعوث إليهم ؛ وإنمـا تعمل فى هذا السبيل فى حدود امكانياتها ، فتبعث إلى بعض هذه البـلاد دون بعض ، وتقـدم الأهم على المهم ، ولو أتيح للأزهر إمكانيات مالية واسعة لاستطاع أن يسد حاجة المسلمين فى جميع البقاع من علماء الأزهر .

ان الجمـاعات الواعية هى التى تحسن توزيع الأعمال على المختصين ، والفوضى فى الاختصاص سمة الجماعات البدائية ، وقديمـا كان الطبيب يمـارس علاج الأمراض كلها : يعالج العين والأذن والمعدة والـكبد وكل علة فى جسم الإنسان ، أما الآن وفى الجماعات المستنيرة فلـكل علة فى الإنسان مختصون ، و إنمـا نقولها نصيحة متواضعة : ان الخير فى أن يوحد القائمون على هذه المعاهد مجهوداتهم و يوفروا أموالهم و يوجهوها الوجهة النافعة ، وأن يوسدوا الأمر إلى أهله فيكلوا الشئون الإسـلامية إلى الأزهر ، و إلى الأزهر وحده ، فهو عليها أقدر ، و بها أجدر « وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر » ؛

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

شباب الحرس الوطنى بالأزهر

فى رحلة إلى قنا والقصير فالأقصر

مائة من شباب الحرس الوطنى فى الأزهر، كلهم قوة وفتوة وعزم وجلد على تحمل المشاق، قاموا برحلة علمية ورياضية بقيادة الصاغ محمد طاهر عليش نحو الجنوب، إلى قنا والقصير ثم إلى الأقصر، بين سيف البحر الأحمر ومجاهل الصحراء والهضاب والجبال ومفاتن النيل وما يحتضنه من حقول.

استقلوا قطار الجنوب فأخذ يطوى بهم الفيافى ليلا حتى بلغوا قنا عند فلق الصبح، والمدينة نائمة، والأشجار قد بللها الندى، فنزلوا فى إحدى مدارسها، واستراحوا فى أسرتها، حتى إذا حان وقت المباريات الرياضية بين منتخب الحرس الوطنى بالأزهر ومنتخب قنا أقبلت الوفود نحو ملعب الكرة الذى أعد فيه سرادق فخم، وحضرت فرق كشافة المدارس مبكرة للمحافظة على النظام، وشهدت المدينة على بكرة أبيها هذه المباريات، يتقدمها المعهد بشيوخه وعلمائه، والمدارس بنظارها ومدرسيها، والموسيقى تعزف، ثم بدا مدير المديرية وحكمدارها وشيخ المعهد ومدير المنطقة التعليمية مرحبين بضيوف قنا شباب الحرس الوطنى فى الأزهر.

وبدأت المباريات بمباراة فى كرة السلة، فكان انتصار الشباب الأزهرى ٤٣ الى ١٣. ثم تلتها مباراة كرة القدم فكان الفوز فيها المنتخب قنا ٢ إلى ١. ثم أقيمت مباراة فى شد الحبل، فاستطاع فريق الأزهر أن ينحى فريق قنا عن مكانه عدة أمتار. وأقيمت مسابقة مائة متر كان الفائز فيها أحد أبطال الحرس الأزهرى. وانتهى بذلك المهرجان الرياضى الكبير بعد أن وزع مدير الإقليم الجوائز والكئوس على الفائزين.

ودعى الحرس الأزهرى الى حفل تكريم أقامه لهم فضيلة شيخ معهد قنا وكان له فى النفوس أطيب الذكر وأعظم الأثر.

مكتبتنا العربية

واستأنف الحرس رحلته فقامت به العربات تشق فيافى الصحراء مشرقة بين الصخور والجبال ، قاصدة ميناء القصير وشواطئه الجميلة على البحر الأحمر ، فكان اعضاء الرحلة يقرأون على صفحات الطبيعة قول الله عز و جل : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » إلى أن أقبل عليهم نسيم البحر وهواؤه العليل فأشرفوا على القصير ، ونزلوا فى مدرستها الإعدادية ، وسرى الخبر الى فريق شركة الفوسفات الرياضى فدعوهم الى الاشتراك فى مباراة انتهت بتعادل الفريقين . ثم زاروا مصانع شركة الفوسفات وشاهدوا طريقة استخراجه فى مراحله المتعددة .

واستأنفوا رحلتهم من القصير إلى الأقصر بين الصخور الضخمة ، والجبال الشاهقة ، والجو المكفر ، فى مفازات لا زرع فيها ولا ضرع ، ولا شجر ولا ماء ، فمروا بمنجم الذهب وشاهدوا مراحل تعدينه واستخراجه و جمعه وصهره ، والمنجم يمتد تحت جبل شامخ عدة كيلو مترات كلها ظلمات فى ظلمات . ثم انطلقت بهم العربات متجهة نحو الجنوب الى الأقصر ، الى أن خرجوا من المفاوز الجرداء الى الأرض الطيبة والزرع الأخضر حيث الكادحون فى حقولهم يعملون فى سبيل الحياة ، والمياه تجرى فى الترع والأشجار على حافاتها ، فكان ذلك إيذانا بالدنو إلى الأقصر ، واتفق الوصول إليها فى اليوم الذى تقوم فيه سوقها ، وفى الأقصر وآثارها درس رجال الرحلة تاريخ مصر القديم على الطبيعة بين الرسوم والرموز . وكان للعالم الأثرى الصاغ عليش الفضل الأكبر فى توضيح ما خفى علينا من معالم التاريخ .

كل هذه الأشياء رأيناها ودرسناها عملا ، وسجلها فى صور (فوتوغرافية) الزميل محمد أحمد صقر الطالب بكلية اللغة ، بعد أن تلقيناها فى دروسنا من الكتب ، و كان الفضل فى ذلك للثورة وعنايتها بالشباب ، وهكذا عادت الرحلة بأجل الفوائد تاركة أطيب الأثر فى شباب يؤمن بربه ودينه ونفسه ، وبوطنه وأهدافه ، وهذه طريقة فعالة فى تكوين الشباب و إعداده للحياة الصالحة .

ناصف ناصف سليم
كلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

لغويات

ينقصنى من كتب الدرس كتاب التاريخ . أعوز كتاب التاريخ

شاعت العبارة الأولى على ألسنة المتأدبين . فيقولون : ينقص هذا الكاتب فصاحة العبارة ، مع براعته فى تصوير المعنى ، يريدون أنه خال من فصاحة العبارة وأن هذا يعيبه ، والمراد من هذا الأسلوب أصبح واضحا لا يخالج السامع أو القارئ شك فيه ، ومع هذا إذا تأمل الناظر فيه وجد أن معناه على حسب تأليفه : أن فصاحة العبارة أورثت الكاتب نقصا وكسبته عابا ، وهذا ضد ما يراد من التركيب ، وقد أتى فى كلام الناس هذا الأسلوب على وفق مفاده اللغوى فى قولهم فى الرسائل الإخوانية ،ولا ينقصنا إلا فراقكم ، فهذا استعمال صحيح لاغبار عليه .

والعبارة العربية الوافية بالمعنى الذى يراد فى هذا المقام أن يقال : يُعوِزنى من كتب الدرس كتاب التاريخ (من أعوز) أو يعوزنى كتاب التاريخ (من عاز) ، ففى اللسان : « أعوزه الشىء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه »وفيه : « و إذا لم تجد الشىء قلت : عازنى » وفى الأخيرة هذه مقال ، ففيه عقب الكلام السالف : « قال الأزهرى : عازنى ليس بمعروف » .

وقد بدا لى أن الاستعمال الشائع له وجه من الصحة ، فلا بأس بامتثاله ، إذ حسنه الإلف له وصقلته الألسن ، وذلك أن يخرج على حذف المضاف، أى لا ينقصنى إلا عدم كتاب التاريخ ، ولا ينقص الكاتب إلا عدم فصاحة العبارة . فالمضاف « عدم » أو « فوت » حذف للعلم به ، وهذا كما سبق فى تخريج قولهم : أعتذر من حضورى اليوم لأمر يعوقنى .

وأزيد هنا أن حذف هذا المضاف ورد فى عدة مواضع فى كلام العرب ، وقد استساغوه لفهم المعنى،وأفرد ابن فارس فى الصاحبى ١٩٨ بابا لهذا النوع من الإضمار،

مكتبتنا العربية

بدأه بقوله : « العرب قد تضمر الفعل فيشتبه المعنى ، حتى يعتبر فيوقف على المراد » وهو لا يريد بالفعل ما هو مصطلح النحاة بل ما يشمله وغيره ، وقد أورد من هـذا قول الخنساء فى مرثية لأخيها صخر :

يا صخر وراد ماء قـــد تناذره أهـل الموارد ما فى ورده عار

ويذكر شارح الديوان أن المراد : مافى ترك ورده عار ، أى ليس يعير أحد أن يعجز عنه من صعوبة ورده ، ويقول ابن فارس : « ظاهر هذا أن معناه : ما على من ورده عار ، وليس فى ورد المـاء عار فيبجح به . ولكن معناه : مافى ترك ورده مخافـة عار ، وإنمـا عنت أنه ورد ماء مخوفا يتحاماه الناس فينذر بعضهم بعضا ، تقول : فهو يرد هذا المـاء لجرأته » .

وقد أورد المبرد فى الكامل بيت الخنساء وقال فى شرحه : « تعنى الموت أى لإقدامه على الحرب » فهو يفسر المـاء بالموت ، ويقول الشيخ المرصفى فى كتابته عليـه (تعنى الموت الخ) أجنبي عن البيت . وهى إنمـا تريد نفس المـاء . وكان المناسب أن تقول : (وما فى تركه عار) على معنى : وما فى ترك ورده إذا عجز عنه عار» وانظر بغية الآمل ١٨٦/٨

وورد من هذا قول النابغة يخاطب عصاما حاجب النعمان حين مرض النعمان ، وكان النابغة محجوبا عنه :

ألم أقسم عليك لتخـبرنى أمحمول على النعش الهمام
فانى لا ألام على دخول ولـكن ما وراءك يا عصام

فقوله : لا ألام على دخول أى على ترك الدخول ؛ لأن النعمان كان نذر دمه إذا رآه ، لمـا كان نقم عليه من وصفه لامرأته المتجردة .

وأورد شارح ديوان الخنساء من هذا قول المرقش :

ليس على طول الحيـاة ندم ومن وراء المرء ما يعـــلم

أى ليس على فوت طول الحياة ماينبغى أن يندم عليه ؛ لأن ذلك يؤدى إلى الهرم وفساد العيش .

ويقول ابن فارس : « وفى كتاب الله جل ثناؤه : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) التأويل : لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يقعدوا عن الجهاد » فتراه يجعل الآية ممـا وقع فيه الحذف والإضمار ، فقوله : « أن يجاهدوا »

مكتبتنا العربية

أى فى ترك أن يجاهدوا بالقعود عن الجهاد ، لأن الاستئذان فى العادة إنما يكون للتخلف عن أداء الواجب . ولا يرى هذا عامة المفسرين ، وإنما يرون أن المؤمنين لا يستأذنون فى شأن الجهاد فى القعود عنه أو مباشرته . ويقول القرطبي فى تفسيره ج ٨ ص ١٥٥ : « أى فى القعود ولا فى الخروج ، بل إذا أمرت بشىء ابتدروه . فكان الاستئذان فى ذلك الوقت من علامات النفاق ، لغير عذر » . وقوله « لغير عذر » متعلق بالاستئذان كما لا يخفى .

ومما ورد من هذا الباب قول ثعلبة بن عمرو العبدى :

وأهلك مهر أبيك الدوا ءُ ليس له من طعام نصيب

خلا أنهم كلما أوردوا يصبح قعبا عليه ذنوب

الدواء: اللبن ، يريد : أهلك مهر أبيك ترك اللبن ، وذكر فى البيت الثانى أنه يسقى من لبن عليه دلو من ماء . فتراه أضمر « ترك » . ذكر هذا ابن الأنبارى فى شرح المفضليات ٧٣ ، ونقله عنه فى اللسان فى ترجمة (دوا) .

وفيما أوردته بلاغ ومقنع فيما نحن بسبيله ، وما يكفل تصحيح الاستعمال الشائع بين الناس .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأعود بعد هذا لما اشتهر عند العامة من قولهم : أعوز هذا الشىء أى أحتاج إليه أو أريده. والمعروف أن هذا قلب للاستعمال العربى ، وهو أن يقال: عازنى هذا الشىء، كما سبق فى عبارة اللسان . ولم أر ما يشهد لعبارة العامة إلا ما ورد فى المصباح . ونصه : « عزت الشىء ، أعوزه ـ من باب قال ـ : احتجت إليه فلم أجده » . ولا أدرى علام اعتمد صاحب المصباح فى هذا . فاما أن يكون دون ما اشتهر على ألسنة الناس وخاله عربيا ، وإما أن يكون له مرجع صحيح لم يقف عليه أصحاب المعاجم التى بأيدينا . وأيا ما كان الأمر فهو يثبت قدم استعمال العامة : أعوز هذا الشىء ، وعزت هذا الأمر .

الطريحة

تستعمل الطريحة فيما يوظف من العمل على العامل فى مدة محدودة . فيقال : طريحة الحاصد للقمح قيراط ، مثلا . ولم أقف على هذا المعنى فى المعاجم . وكأن وجهه أن القدر

مكتبتنا العربية

من العمل يطرح على العمال ويندبون إليه، فمن قبله قدر عليه، فهو فى الأصل صفة لحصة مثلا أى حصة طريحة ، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما قيل فى الذبيحة والنطيحة ، ولولا هذا لاستغنى عن التاء .

وقد جاء فى ترجمة عبد الملك بن سراج النحوى إمام أهل قرطبة أنه كان يقول : طريحتى فى كل يوم سبعون ورقة ، يريد ما يقرؤه كل يوم . ذكر هذا السيوطى فى ترجمته فى بغية الوعاة . وكانت وفاة ابن سراج سنة ٤٨٩ هـ .

لم أقرأ هذا الكتاب من ذى قبل

أنكر المعنيون بتهذيب اللغة هـذا الاستعمال ، وأوجبوا حذف « ذى » وأن يقال : لم أقرأ هذا الكتاب من قبل . وقالوا : إنما يقال : أفعل هذا الأمر من ذى قبل بفتح القاف وكسرها وفتح الباء أى فى مستأنف أمرى ومستقبل أيامى ، وهـذا غير ما يراد فى الاستعمال الذى هـو موضوع البحث . ويوردون نص اللسان : « الفرّاء قال : لقيته من ذى قَبَل وقِبَل ، ومن ذى عَوَض وعوض ، ومن ذى أُنُف أى فيما يستقبل » ويوردون أيضا عبارة القاموس : « ولا أكلمك إلى عشر من ذى قبل كعنب وجبل أى فيما أستأنف ، أو معنى المحركة : إلى عشر تستقبلها ، ومعنى المكسورة القاف : إلى عشر مما تشاهده من الأيام » .

وقد خطر لى جواز الاستعمال الشائع ، وتخريجه على أحد وجهين : الأول زيادة ذى ، والثانى أن تكون صفة لموصوف محذوف .

فأما زيادتها فهى كثيرة فى الكلام العربى ، وفى اللسان فى (جرم) نقلا عن ابن الأعرابى : « والعرب تصل كلامها بذى وذا وذو ، فتكون حشوا ولا يعتد بها » وأما جعلها صفة لمحذوف فقد قالوه فى قولهم : ذات مرة أى دفعة ذات مرة ، وفى قولهم : ذات صباح ، أى ساعة ذات صباح ، وفى قولهم : فعلته ذا صباح ، أى وقتا ذا صباح أى وقتا مسمى بهذا ، ومن هذا قوله :

عزمت على إقامة ذى صباح لأمر ما يسوّد من يسود

فقولهم : ما فعلته من ذى قبل أى من الوقت صاحب هـذا الزمن وهـو قبل ، وقد أفرد ابن جنى لمثل هذا فى الخصائص بابا عنوانه : باب فى إضافة الاسم إلى المسمى ، والمسمى إلى الاسم » ٦

محمد على النجار

مكتبتنا العربية

تعليقات

الصحف المنحرفة

على الرغم من أن الصحافة فى مصر سائرة بتوجيه أصحابها المهذبين ، فأن فيها صحفا نادة ، لا تتوخى الصواب ، ولا تستجيب للتفاهم ، ولا تتحرج من الإسفاف ، وخاصة حينما يطلب لها أن تتصيد المنفعة ، ولو على حساب الدين ورجاله ، ممن يسرهم الغمز فى الدين ورجاله ، وفى الأزهر وعلمائه .

وقد عرفنا قديما تلك الصحف كما هى عارفة بنفسها ، ورأيناها أخيرا كما عرفها الناس من قبل : ذات أهداف مادية جشعة ، وذات وسائل تستسيغها هى ، ولو لم يسوغها سبب آخر ، وتدأب عليها وإن عافتها كرامة الصحف الأخرى .

وقد رأينا أخيرا تلك الصحف تكتب بعنوان ظاهر «الشيخ متلوف» وتنشر تحت هذا العنوان الهازل صورا مرذولة لشيخ هرم ذى لحية طويلة يلاحق السيدات فى كل مكان .

و يشهد الله والناس أن تلك الصحف ما قصدت بهذا التخيل الماجن — أولا — إلا تجريحا سفيها لرجال التعليم الدينى ، وإلا أن تتوسل — ثانيا — بهذا الغمز اللادينى إلى عطف المعادين للاسلام الذين اعتاضوا عن التبشير السافر بالاستتار وراء بعض الصحف ، فهم يقبلون عليها بما يرضيها ، وهى تنشر لهم ما يرضيهم من البذاءة على رجال الدين .

كم وددنا على صحافة تعتبر نفسها وطنية مسلمة أن تتجرد قليلا من النفعية الجشعة ، وأن تسهم بحق فى الإصلاح القومى ، وأن تسير مخلصة فى ركاب الداعين إلى الجد فى تخليص الوطن والمواطنين من التهريج ومن الشوائب المرذولة ، ومن التلون بالألوان المتناقضة فى أزمنة متعاقبة . وددنا ذلك ، ورفعنا به الصوت غير مرة على مسمع من أكرم الرجالات العاملين على بناء القومية ، ولكن تمرد تلك الصحف على الآداب يلويها عن سماع دعوتنا لها ، ويغريها بذلك أن رجالات مصر مشغولون عن هذه السفاسف بأمور أخرى تستأثر اليوم بكل أوقاتهم .

وشىء من الترفع أو الحياء كان يكفى للاقلاع عن هذا التمادى فى بث اللادينية من طريق الصحافة الجامحة ، ولكن أين الحياء الذى تنشده لهم ، عسى أن يكون قريبا . . . ؟ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

الكتب

مصر فى القرن التاسع عشر ـ الجزء الثانى

للأستاذ محمود الشرقاوى ـ ١٨٠ ص ـ مكتبة الانجلو المصرية

لو أن تاريخ الجبرتى من تراث أمـة كالألمـان أو غيرهم من أمم الغرب لامتلأت خزائن كتبهم بالدراسات و البحوث التى تعكف عليهـا أقلام العلماء و المحققين لاستخراج دفائنـه ، و إضاءة ما واراه الزمن من غوامض أحـداثه ، و بيان الظروف التى وقعت فيهـا تلك الأحداث ، وعرض ذلك بالأساليب التى تجعـل المعاصرين من القراء كأنهم معاصرون لرجال ذلك العصر يشهدون أعمالهم و يفهمون أغراضهم و يربطون بين المقدمات ونتائجها . وهذا ماقام به الأستاذ المحقق محمود الشرقاوى فى دراساته الدقيقة لكتاب عجائب الآثار، الذى دون فيه الجبرتى ماوصل إليه علمه من أحداث عصره والزمان القريب منه ، فكان فى ذلك أمينا صادقا مخلصا ، وقد ملأ الجبرتى بعمله فراغا فى تاريخ مصر كان حلقة فى سلسلة زينها أسلاف الجبرتى ـ كابن إياس وابن تغرى بردى وابن الفرات وغيرهم ـ بمؤلفاتهم التى تحتاج هى الأخرى إلى من يجدد بدراساته شبابهـا ، ويحيي ببحوثه ظروفها ، ويزين بقلمه أساليبها ، فيكون الماضى وأهله بين يدى الحاضر وأهله جليا واضحا يتصل آخره بأوله ، فتتعظ الأجيال بعبر الماضى ، و يكل الأحفاد رسالة الأجداد ، و يتعرف الناس مواطن الزلل ليجتنبوها ، وأسباب الضعف وعواقبه فيتقوها ، وطريق القوة فيسيروا فيـه إلى الأهداف القومية التى توحد بين الأجيال ، وتقيم منها كيانا واحدا تكون أمثال هذه الكتب مصابيح فى طريقه إلى الخلود .

إن جمهرة القراء المثقفين يفيدون من مثل هذه الدراسات عن أمهات كتب التاريخ الكبرى مالا يفيدونه من أصولها ، لذلك كان عمل الأستاذ الشرقاوى عظيما وقد سد به فراغا يشعر به قراؤه . فنرجو له التوفيق فى مواصلة هذا العمل النافع المفيد .

مكتبتنا العربية

حرية الفكر فى الاسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون ـ ٣٩ ص ـ مطبعة الأزهر

هى محاضرة جليلة نافعة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون فى دار كلية الآداب بجامعة الاسكندرية باقتراح من عميدها ، وقد استهدف بها أمرين : أحدهما أن نكيف أنفسنا بتحقيق قول أسلافنا « العلم رحم بين أهله » ، ومن صلة هذا الرحم قيام شيخ علماء الإسكندرية بالقاء هذه المحاضرة فى كلية الآداب بتلك الجامعة . الأمر الثانى أن ينقل إلى الذين يحاضرهم صورة واقعية صادقة عن (حرية الفكر الإسلامى) حتى يعلم الذين لم يتعمقوا دراسة الإسلام فوقفوا منه موقف الصديق المتوجس أو الغريب الكاشح أو العدو الجاهل أنهم مقصرون فى ذات أنفسهم ، مفرطون فى حق عقولهم ، وحتى يعلموا أنهم ليسوا أمام دين يكبل عقولهم ، ولكنهم أمام حقيقة إلهية تنبع من أعماق أنفسهم ، وتتأصل جذورها فى فطرهم ، وتتلاءم مع طباعهم ، وتستجيب لها ضمائرهم . ثم أفاض فى براهين موضوعه بدراسة عميقة نيرة خرج السامعون منها بأكثر مما وعدهم به المحاضر فى فاتحة محاضرته ، فكان ذلك من أعظم ما خدم به الحق من حيث هو ، والمجتمع الإسلامى المصرى ممثلا بمن استمع إلى المحاضر فى كلية الآداب بالاسكندرية ، ولا نقول إنه خدم بذلك الإسلام ، فالإسلام أسطع نورا ، وأرسخ دعائم ، وأبقى على الدهر من أن يحتاج منا الى مناصرته ، بل نحن المحتاجون الى العلم به لنتمكن من الانتصار به فنكون من أهل القوة والسعادة فى الأرض .

نهضة الداعى ، إلى الاصلاح الاجتماعى

لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ـ ٢١٢ ص ـ مطابع دار الكتاب العربى

كتاب حافل بشتى المواعظ وجليل الحكم فى طائفة من الموضوعات المتنوعة التى تتعلق بشتى نواحى صلاح المجتمع الإنسانى ، مدعما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وحلاه بالقصص الطريفة والأشعار المستحسنة ، متوسلا بذلك إلى إصلاح البيئة الاجتماعية حتى تسترد مجدها فى ظل الإسلام .

وكان قد نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب وهو طالب على أبواب التخرج بكلية أصول الدين ، ثم أعاد طبعه الآن منقحا مضافا إليه من الموضوعات المهمة ما فيه تبصرة وذكرى وعظة وبشرى . حقق الله النفع به .

مكتبتنا العربية

اولو العزم من الرسل

للأستاذ محمد عبد الله السمان ـ ١٧٥ ص ـ مكتبة الخانجي ومكتبة وهبه بالقاهرة

حلقة جديدة من إنتاج الأستاذ الفاضل محمد عبد الله السمان في الثقافة الإسلامية ، كتبها بعد عزلة قدرها الله له فامتدت زهاء نصف عام كانت له شعاعا أضاء له الطريق ، إذ كان كتاب الله القبلة التي اتجه إليها ، فهيأ له لقاؤه مع كتاب الله أطيب فرصة للنزول ضيفا على ساحة « أولى العزم من الرسل » نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، فكان من ثمرات ذلك إخراجه هذا الكتاب لاليكون سردا قصصيا ولا مرجعا تاريخيا بل هدف إلى أن يكون تحليلا لشخصيات هؤلاء الحاملين لرسالات الله وظروف دعواتهم ونتائجها ، فكتبه عن قوة شخصياتهم ، وطاقات احتمالهم ، ونتائج دعواتهم ، بأسلوب بليغ وعرض لطيف مستعينا بالمأثور عنهم في كتاب الله وفي الكتب الأخرى كالأناجيل ومنها إنجيل برنابا ، وهكذا جعل من حياة أولى العزم من الرسل ودعواتهم بحثا تحليليا مستفيضا يلتمس منه القارئ المثقف النماذج الطيبة التي تتمثل فيها شخصياتهم والمعاني الحية التي تتجلى في دعواتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وحي النهضة الوطنية — في الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ علي رفاعي محمد — ١٧٠ ص — مطبعة الأمين بالقاهرة

هو الجزء الثاني من (الأنوار المحمدية في الخطب المنبرية) الذي وصفناه في ص ١٠٩٨ من هذه المجلة سنة ١٣٧٣ ، وهذا الجزء على غرار أخيه السابق له ، وتدور خطبه حول النهضة والأهداف القومية والجهاد، وفضل الشهداء والانتاج القومي ، والرياضة وأثرها، وأن النظافة من الإيمان، إلى غير ذلك مما له أثر طيب في تكوين كيان الأمة وتجديد شبابها .

موعظة المؤمنين — الجزء الاول

للأستاذ حامد محمود اسماعيل ـ ٢٠٠ ص ـ مطابع دار الكتاب العربي

هي مجموعة خطب منبرية تدور حول مختلف المعاني الاسلامية والخلقية والاجتماعية وقد بلغت خمسين خطبة على عدد أسابيع السنة . وقدم لها المؤلف مقدمة عن مقومات الخطابة الدينية ، ومنها السهولة وتجنب العبارات الغريبة ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتخير الألفاظ المثيرة لشعور السامعين، وشجاعة الخطيب ورباطة جأشه، وقوة العاطفة، وورع الخطيب وتدينه وعمله بما يقول ، وقصر الخطبة على موضوع واحد، وحسن المظهر والهيئة . فنلفت اليه الأنظار .

مكتبتنا العربية

نشاط الأزهر الثقافى

عرضت على جهات الاختصاص فى الأزهر طائفة كبيرة من مؤلفات حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة والمدرسين التى وضعوها وفقا للمناهج الأخيرة فى القسمين الثانوى والابتدائى . وهذا بيان بعض هذه الكتب التى رأت المشيخة صلاحيتها للتدريس :

ففى مادة البلاغة : كتاب (المدخل فى علوم البلاغة) للسنة الأولى الثانوية من تأليف صاحبى الفضيلة الشيخ الدسوقى حسن سلامة ، والشيخ كمال هاشم نجا . وفى مادة المنطق : كتاب (التصورات والتصديقات) للسنتين الأولى والثانية الثانويتين من تأليف فضيلة الشيخ عبد الرحمن مصطفى ، وفى مادة المطالعة : كتاب من تأليف أصحاب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى ، والأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى ، والأستاذ محمود رزق سليم . وفى مادة أدب اللغة : كتاب (الأدب العربى) لأصحاب الفضيلة الشيخ أمين دياب خضر ، والشيخ زكى سويلم ، والشيخ الصادق جمال الدين ، والشيخ محمد العزازى . وفى مادة الصرف : كتاب (الرائد الحديث) لفضيلة الشيخ كامل شاهين . وفى مادة العروض : كتاب (اللباب) له أيضا .

ومن الكتب التى رأت المشيخة صلاحيتها للتدريس فى القسم الابتدائى :

كتاب التاج فى المطالعة لصاحبى الفضيلة الشيخ محمد خليفة والشيخ إبراهيم الوقفى . وشرح الأزهرية الجديد فى النحو لأصحاب الفضيلة المشايخ إبراهيم عيسى ، وعبد اللطيف خليفة ، وعلى كرسون ، ومحمد عباسى . وتيسير الصرف لصاحبى الفضيلة الشيخ عبد السميع السنباطى ، والشيخ زكى على سويلم . وإرشاد الطالب فى الصرف لصاحبى الفضيلة الشيخ أحمد عمارة ، والشيخ عبد الغنى إسماعيل . وتعليقات على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعية لفضيلة الشيخ فرج السيد فرج . وكتاب مختارات الباجورى على ابن قاسم للمشايخ توفيق مودة ، وفرج السيد فرج ، ومحمد البهنسى ، والحسينى الشيخ .

البيانات

لأبى الأعلى المودودى ـ ٢١٣ ص ـ مطبعة العلوم والآداب بدمشق

هى مجموعة بيانات ثلاثة أدلى بها الأستاذ المودودى فى محكمة التحقيق التى ألفتها حكومة باكستان سنة ١٩٥٣ للبحث عن اضطرابات مقاطعة بنجاب عامة ومدينة لاهور

مكتبتنا العربية

خاصة، التى هى نتيجة طبيعية لسلوك القاديانيين المريب فى الوطن الباكستانى الاسلامى . فقد وجهت المحكمة السؤال الى مختلف الاحزاب السياسية والجمعيات الدينية عن موقفها من القاديانية والاضطرابات التى ثارت من حولها، وعلى من تقع تبعة هذه الاضطرابات ، وهل أصابت الحكومة فى فرضها الحكم العرفى على مدينة لاهور أم لم يكن ثمة حاجة إليه ، وهل التدابير التى اتخذتها الحكومة كافية لتوطيد الأمن أم غير كافية .

وكان الأستاذ المودودى أحد الذين وجهت المحكمة إليهم هذه الأسئلة ، فكتب الأستاذ المودودى أجوبته على هذه الأسئلة وهو فى غيابة السجن ، فكشف القناع عن وجهة نظر فى القاديانية وما كان منها وما وقع عليها وموقف الشعب والحكومة والجمعيات الإسلامية من ذلك ، فلما نشرت هذه البيانات فى الصحف الباكستانية بأذن من المحكمة أجمع أهل الإنصاف على أن ذلك هو القول الفصل والقضاء المحكم . ثم كان من المحكمة أن تصدت لمسائل أخرى غير التى كانت محددة فى نطاق البحث ؛ فعمد الأستاذ المودودى إلى كتابة بيان ثان عن هذه النقط والمسائل أصلح فيه الأخطاء التى صدرت عن بعض الشهود لقلة علمهم بالشريعة الإسلامية ونظامها . وفى الختام وجهت المحكمة إلى العلماء أسئلة عن المسيح والمهدى والنبوة والرسالة وما إليها من المسائل التى للقاديانيين فيها آراء مخصوصة وأوهام مضللة ، فوضع الأستاذ المودودى بيانه الثالث وفيه الأجوبة الحاسمة عن هذا كله فكان من مجموع ماتقدم كتاب (البيانات) الذى نشرهناك باللغة الأوردية ، وقام الأستاذ محمد عاصم الحداد والسيد محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان بنقله إلى اللغة العربية وطبع بدمشق . ولما كانت مصيبة المسلمين بالقاديانية التى هى وليدة الاستعمار تعد مصيبة مشتركة بين المسلمين كلهم ويجب عليهم التعاون على الخلاص منها فان نشر هذه البيانات بالعربية يعد خدمة اسلامية يشكر عليها كل من له نصيب فى ذلك .

كتاب المطالعة للمعاهد الدينية

لأصحاب الفضيلة : الشيخ السبكى ، والشيخ أبو الوفا المراغى ، والأستاذ محمود رزق سليم – ٢٧٦ ص – دار الكتب الحديثة .

هو الجزء الأول لطلبة السنة الأولى والثانية والثالثة الثانوية ، قررت مشيخة الأزهر تدريسه بالمعاهد الدينية الثانوية ، وقد جمع طائفة من الأدب البارع ، والشعر المنتقى ، مما جادت به قرائح أعلام البيان العربى فى مختلف عصوره ، وحسبنا أن يكون مؤلفوه هؤلاء الأفاضل الكرام من رجالات الأزهر ، فنرجو الله أن ينفع به .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

المدرسة والمسجد

تقرر أن يعد فى كل مسجد ينشأ فى المستقبل مكان لمدرسة ابتدائية ، وتبحث وزارة الأوقاف رغبة وزارة التربية والتعليم فى حصر المساجد التى يمكن إلحاق مدارس ابتدائية بها ، أو بناء فصول دراسية فى المساجد المعطلة . وا تضح أن وزارة الأوقاف يمكنها أن تدبر حتى أول العام الدراسى القادم نحو ٢٠٠ مدرسة . وتقرر أن تشترط وزارة الأوقاف لاعانة المساجد التى يقوم الأهالى بانشائها أن تكون بسيطة ، وأن تلحق بها مدرسة . وستكون الإعانة مجزية ومشجعة للأهالى ، وأن تكون إدارة تلك المدارس تابعة لها لتتحقق من الاحتفاظ بميزة تحفيظ القرآن الكريم .

نفقات التعليم الجامعى

يقول الدكتور كامل مرسى مدير جامعة القاهرة إن طالب كلية العلوم يتكلف ١٧٤ جنيها ويدفع عشرة جنيهات . وطالب الطب أو الهندسة يتكلف مائة جنيه ويدفع ١٥ جنيها ، وطالب كلية الآداب يتكلف ٣٤ جنيها ويدفع عشرة ، وطالب الحقوق يتكلف ٢٣ جنيها ويدفع عشرة ، وطالب كلية دار العلوم يتكلف ٦٤ جنيها ولا يدفع شيئا . وميزانية جامعة القاهرة وحدها ثلاثة ملايين من الجنيهات هى ميزانية المصروفات بينما لا تزيد الإيرادات على ٣٠٠ ألف جنيه .

اللغة الصينية

فى جامعة القاهرة

تقرر تدريس اللغة الصينية فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وقد قدم إلى مصر أستاذ من الصين لتدريس لغتها ، كما قدم عدد من الطلاب الصينيين للدراسة فى مصر .

وقد خصص وزير التربية والتعليم سبع بعثات من الطلبة المتفوقين لإيفادهم إلى الصين لدراسة لغتها .

اللغة الصينية

فى مدرسة الألسن

قررت مدرسة الألسن انشاء قسم جديد بها لتعليم اللغة الصينية ، والابتداء بذلك

مكتبتنا العربية

فـورا، ويقوم بالتدريس فيه الأستاذ كنغ أستاذ اللغة الصينية الزائر بمصر، وستكون الدراسة بالقسم الجديد بعد ظهر يوم الأحد من كل اسبوع، ويقبل فيه خريجو الجامعات والكليات الحربية وكلية البوليس والجامعة الأزهرية ومن فى مستواهم .

الانفجارات فى الشمس

تـكررت أخيرا الانفجارات فى الشمس، وفى الانفجار الذى حـدث يوم ١٤ فبراير تمكن مرصد موزايشنو فى اليابان من تصويره فى اللحظة التى كان فيها على أشده . ثم تكرر الانفجار يوم ٢٣ فبراير وسجل مركز الابحاث فى طوكيو زيادة طاقة الاشعاع الكونى من ١٠ الى ١٥ ٪ بينما سجل مرصد جبل نوريكورا زيادة تعادل ٦٠ ٪ ويؤكد مرصد موزايشنو أنه أثناء انفجار ٢٣ فـبراير زادت قوة نور الشمس ثلاثة اضعاف متوسطها ، وحدث ذلك فى منطقة تزيد مساحتها ست مرات عن مساحة الأرض . وهذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها اضطراب فى الأشعة الكونية فى الوقت الذى يحدث فيه الانفجار الشمسى .

ويتوقع العلماء أن يحدث انفجار رهيب فى سطح الشمس يوم ١٥ مارس الحالى (٢ شعبان) وقد استعدوا لإطلاق بالونات فيها آلات تسجيل واختبار إلى ٢١ ميلا فى الطبقات العليا من الجو . وقد اجتمع فى طوكيو خمسون فلكيا وعالما من علماء تكوين الأرض لتبادل الآراء بخصوص الأشعة الكونية، وسيطلقون فى هذا الصيف عشرة بالونات للمراقبة على ارتفاع يتراوح بين ١٥ و ١٦ ميلا .

أسماء المعسكرات

فى قاعدة القنال

كان للمعسكرات البريطانية الكثيرة فى قاعدة القنال أسماء انجليزية ، وكلما تسلمت القيادة الشرقية المصرية معسكرا من هذه المعسكرات نزعت عنه عنوانه الانجليزى وسمته باسم تختاره له ، فاختارت لمعسكر سانت فنسانت اسم (الفسطاط) ، ولمعسكر ليدى سميث اسم (عرفات)، ولمعسكر تايم اسم (الخطاب)، ولمعسكر مالطة اسم (أمية) ، ولمعسكر كورا اسم (قرية الرياض) ، ولمعسكر جبرالتر اسم (قرية الأندلس) ، ولمعسكر كورونا اسم (الأمين)، ولمعسكر تانجير اسم (المأمون) ولمعسكر الفالز بالتل الكبير اسم (عرابى) ولمعسكر كوبنهاجن اسم (محمد عبـده) ، ولمعسكر غوردون اسم (الكرنك)، ولمعسكر سان جورج اسم (رمسيس) ، ولمعسكر بلا كلافا اسم (تحتمس) ، ولمعسكر بوب هنيسي اسم (أحمس)، ولمعسكر كلودن اسم (قادش) .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

أقطاب العرب الثلاثة

كانت أواخر شهر رجب المنصرم أيام إسراء ومعراج فى حياة الأمة العربية تمثلت فى اجتماع أقطاب العرب الثلاثة : الملك سعود ، والرئيس شكرى القوتلى ، والرئيس جمال عبد الناصر ، لتنسيق السياسة العربية الخارجية والاقتصادية ، وتجنيد إمكانيات القومية العربية لجمع شملها وتنظيم قواها وسد الثغرات التى فتحها الاستعمار والأنانيات والجهل فى كيان هذه الأمة النبيلة . وكل ما نرجوه من الله أن يؤهل هذه الأمة لتكون مستحقة للرجوع إلى طريقها فى تاريخ الإنسانية ، وقيامها برسالتها لتعود لها مكانتها بين الأمم .

وقد انتهى مؤتمر الأقطاب الثلاثة إلى نتائج عظيمة ، وقرارات تاريخية ، هذا بيانها :

نص البيان

فى الظروف الخطيرة التى تحيط بالبلاد العربية وتهدد سلامتها رأينا أن نجتمع لنبحث الأمر من جميع نواحيه ونستكمل بذلك المشاورات التى دارت من قبل بين حكوماتنا ونختمها بما نجده ضروريا من قرارات .

ولقد تم اجتماعنا بالقاهرة فى الفترة ما بين يوم الثلاثاء ٢٣ من رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٥٦ وبين يوم الأحد ٢٨ من رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١١ من مارس سنة ١٩٥٦ .

والتقت آراؤنا عند تفاهم كامل فى كل ما عرض للبحث أمامنا واستطعنا بذلك أن نجمع إرادتنا على خطة كاملة نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت .

ولقد تمت محادثاتنا فى جو من الصداقة الوطيدة التى يدعمها التفاهم المتبادل بيننا ويربطها إيماننا الواحد الراسخ بفكرة العروبة والثقة التى لا حد لها فى مستقبل الأمة العربية .

وشد من عزمنا وقوى روحنا ما لاحظناه بارتياح من زيادة الوعى الوطنى فى الأمة العربية ، وإننا لننظر فى إعجاب واطمئنان إلى الدور العظيم الذى أصبح الرأى العام العربى يقوم به فى توجيه الحوادث بيقظة مستنيرة وشجاعة حكيمة .

مكتبتنا العربية

الموقف فى الشرق

ولقد بحثنا الموقف فى الشرق الأوسط من جميع وجوهه ونواحيه واتفق رأينا على أن العمل للسلام وتحقيقه والمحافظة عليه إنما يقوم بالتعاون الصادق بين الدول على أساس من الاستقلال والمساواة التامة بينها جميعا ، وعلى احترم حقوق الإنسان والتزام أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه .

و إننا لنؤمن بأن السلام الحقيق الذى تتطلع إليه شعوبنا وشعوب العالم لن يسود مالم تصبح هذه الأسس مصدر الإلهام فى تصرف كل دولة إزاء غيرها من الدول ، وبذلك تخف حدة التوتر الناشئ من تدخل بعضها فى الشئون الداخلية للبعض الآخر ، والضغط عليها بمختلف الوسائل والأساليب .

و إننا لنعلن عزمنا على تجنيب الأمة العربية مضار الحرب الباردة ، والبعد بها من منازعاتها والتزام سياسة عدم الانحياز تجاهها محافظة بذلك على مصالحها .

الدفاع عن العرب

كذلك نعلن أن الدفاع عن العالم العربى يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيق وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية التى تحاول استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى مضحية فى سبيل ذلك بالقضايا والأمانى العربية الخالصة و وحدة أمتنا .

ولقد كانت قضية فلسطين موضع اهتمامنا البالغ ، و إننا لنؤكد تمسكنا بحقوق عرب فلسطين كاملة .

و إنه ليطيب لنا فى هذه المناسبة أن نؤكد تمسكنا بالمبادئ التى أعلنها مؤتمر الدول الافريقية الاسيوية بباندونج ، واعتبارها الطريق الذى تسير عليه سياستنا فى المحيط الدولى .

القرارات

وهذا هو نص قرارات مؤتمر الرؤساء الثلاثة :

اجتمع بالقاهرة فى الفترة من ٢٣ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ مارس سنة ١٩٥٦ إلى ٢٨ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٥٦ .

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود .

وصاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى .

والسيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وقد عقد هذا المؤتمر عدة اجتماعات عكف فيها الرؤساء على دراسة الموقف فى

مكتبتنا العربية

الشرق الأوسط على ضوء ما ورد فى بيانهم من مبادئ وأسس ، وانتهوا إلى قرارات محددة بشأن كل ما عرض أمامهم من مشاكل . وفيما يلى بعضها :

تدعيم الأمن

١ ـ تم وضع خطة شاملة لتدعيم الأمن العربى والعمل على حفظ كيان الأمة العربية والدفاع عنها ضد أخطار العدوان الصهيونى والسيطرة الأجنبية التى تحول دون استتباب السلام والاستقرار فى تلك المنطقة وتخلق حالة من التهديد والتوتر .

تنسيق الدفاع

٢ ـ تم وضع خطة شاملة لتنسيق خطة الدفاع العربى لمواجهة أى عدوان قد يقع ضد اية دولة عربية من قبل اسرائيل التى دأبت على سلوك سياسة عدوانية تنكر مبادئ الحق والقانون وتتجاهل قرارات الأمم المتحدة

اسرائيل ...

٣ ـ تم وضع خطة شاملة لمواجهة موقف بعض الدول التى تسمح بتجنيد رجالها لخدمة العسكرية فى القوات الإسرائيلية

٤ ـ تم الاتفاق على مواجهة الموقف الذى يقتضيه امن الدول العربية تجاه امداد اسرائيل بالاسلحة التى تساعدها على التمادى فى العدوان

حلف بغداد

٥ ـ تم وضع خطة شاملة لمواجهة المحاولات التى تبذل عن طريق حلف بغداد للضغط على البلاد العربية وتعريض الأمن العربى للخطر وتفرقة الصف العربى فى الوقت الذى تجد فيه البلاد العربية نفسها أشد ما تكون حاجة الى وحدة متماسكة فى الجهود والاتجاهات .

٦ ـ تم الاتفاق على التأييد الكامل للأردن ومساندته ضد أى ضغط أجنبى أو أى عدوان صهيونى بما يكفل للشعب الأردنى الباسل تحقيق غاياته .

وقد اتصل المؤتمر بحضرة صاحب الجلالة الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية لا بلاغه ذلك وتأكيد ما سبق الإعراب عنه من الاستعداد التام الأكيد لمعاونة الأردن والوقوف بجانبها .

الكيان العربى

٧ ـ وضع المؤتمر خطة شاملة تهدف الى توثيق روابط الكيان العربى وتنمية التعاون بين الدول العربية الخالصة . كما بحث المؤتمر وسائل تحقيق الوحدة العربية التى

مكتبتنا العربية

يؤمن الرؤساء الثلاثة إيمانا لا يتزعزع بأنها السياج المنيع للبلاد العربية الذى يضمن استقلالها ويكفل لها استكمال اسباب نهضتها .

سياسة سعودية سورية مصرية

٨ — وضع المؤتمر خطة شاملة لتنسيق السياسة السعودية ـ السورية ـ المصرية من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية بحيث تكون نتيجة هذا التنسيق الشامل تعبئة جميع القوى وتوجيهها الوجهة التى تحقق المصلحة العليا للأمة العربية .

٩ — وضع المؤتمر خطة لمواجهة مشكلة الاحتلال البريطانى لواحة البريمى وإمارة عمان ورسم الوسائل التى تؤدى إلى إنهاء هذا النزاع على نحو يحفظ لهذه المناطق عروبتها ويحول دون الانتقاص من سيادتها وحقوقها

شمال افريقيا

١٠ — رأى المؤتمر بعد بحث مستفيض للوضع الراهن فى شمال افريقيا ـ أن السياسة الفرنسية التى تمعن فى انتهاك حقوق شعوب شمال افريقيا تهدد السلم تهديدا خطيرا فى تلك المنطقة وعلى فرنسا أن تعترف بحق شعوب شمال افريقيا فى الاستقلال طبقا لميثاق الأمم المتحدة ومبدأ حق تقرير المصير لكل الشعوب .

١١ — رأى المؤتمر بعد بحث القضايا العربية أن يعمل بكل الوسائل حتى تحل هذه القضايا حلا عادلا يحفظ للعرب سيادتهم وحقوقهم .

* * *

الجنرال جون جلوب

تعيده الأردن إلى بلاده

تفاقمت التصرفات العدائية التى ما زالت تصدر عن الجنرال جون جلوب مخالفة للأمانة المطلوبة من مثله فى مثل عمله الذى كان يقوم به فى الجيش الأردنى ، فاضطر الملك حسين ملك الأردن إلى إصدار مرسوم ملكى بانهاء خدمات هذا الضابط البريطانى بصفته رئيسا لأركان حرب الفيلق العربى ، وأسند منصبه إلى مساعده الوطنى الزعيم راضى عناب ، وقد غادر الجنرال جلوب وأسرته مدينة عمان فورا عقب صدور المرسوم ، وكانت قد أعدت له طائرة أردنية لتعيده إلى بلاده حالا . وقد أنهى المرسوم خدمات الكولونيل باتريك كوجهيل رئيس مخابرات الفيلق العربى ، والزعيم هانون مدير الحركات الحربية . وأحيل إلى التقاعد القائمقام عبد الرحمن الصحن والقائد سليم كرداشة ووكيل القائد أميل جميعان وهم من صنائع الطاغية جلوب . وقد قامت الأفراح البهيجة فى مملكة الأردن والبلاد العربية سرورا بهذه الخطوة الجريئة التى أقدم عليها الملك حسين وكانت سن أكبر حسناته .

مكتبتنا العربية

سياسة السودان

أكد وزير خارجية السودان فى مؤتمر صحفى أن سياسة السودان قائمة على عدم الدخول فى أحلاف عسكرية مهما كانت ، ليكون السودان بمنأى عن الخلافات ، وأن انضمام السودان إلى الجامعة العربية يعنى ارتباطه بسياستها . وأن مجلس الوزراء السودانى قد وافق على مقاطعة إسرائيل ، وأن الجهات المختصة فى الحكومة ستتخذ الإجراءات اللازمة لإحكام هذه المقاطعة .

السودان

وحصار إسرائيل الاقتصادى

على أثر مذكرة تلقتها الحكومة السودانية من الجامعة العربية متضمنة الاقتراح بأن تتخذ حكومة السودان الاجراءات اللازمة لإحكام الحصار الاقتصادى على إسرائيل ، وإنشاء مكتب لمقاطعة إسرائيل أسوة ببقية الدول الأعضاء بالجامعة — انعقد مجلس الوزراء السودانى وقرر الموافقة على مقاطعة إسرائيل وإحكام الحصار الاقتصادى الذى ضربته الدول العربية عليها .

قرى المرابطين السوريين

على حدود اسرائيل

أقر مجلس النواب السورى مشروع قانون تقدمت به الحكومة السورية لإنشاء قرى دفاعية نموذجية على حدود اسرائيل يرابط فيها سكان من الجنود والضباط المتقاعدين والمسرحين من رجال الجيش مع عائلاتهم ، وستنظم هذه القرى على نمط المستعمرات الإسرائيلية القريبة من الحدود .

اللاجئون الفلسطينيون

ومعركة الإنقاذ

أرسل سكرتير مكتب اللاجئين فى عمان برقية إلى الأقطاب الثلاثة المجتمعين بمصر : الملك سعود والرئيس شكرى القوتلى والرئيس جمال عبد الناصر ، قال فيها : إن اللاجئين يحيون جهودهم المباركة لوحدة العرب وإنقاذ فلسطين ، ويرفعون قرارهم إليهم بتأييد الأردن ، والتماس قبولهم فى الجيوش العربية ليكونوا المقدمة فى معركة الإنقاذ .

أسلحة أمريكية للعرب

عادت أمريكا فرفعت حظر تصدير بعض الأسلحة إلى الوطن العربى ، وأذنت بشحن ١٨ دبابة وأجهزة إشارة وأدوات طائرات للمملكة العربية السعودية .

الاعتراف باستقلال مراكش

فى يوم ١٩ رجب (٢ مارس) تمت فى باريس المفاوضات بين جلالة الملك سيدى محمد بن يوسف ومسيو رينيه كوتى رئيس جمهورية فرنسا على الاعتراف للمغرب الأقصى باستقلاله وسيادته ، وهذه خلاصة التصريح المشترك :

مكتبتنا العربية

« ان حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة محمد الخامس سلطان مراكش يؤكدان عزمهما على تنفيذ تصريح سان كلو الصادر فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٥، وهما يقرران بعد التقدم الذى أحرزته مراكش أن معاهدة فاس التى عقدت فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ لم تعد ملائمة لضرورات الحياة العصرية وتحديد العلاقات المراكشية الفرنسية ، ومن ثم فان الحكومة الفرنسية تؤكد رسميا الاعتراف باستقلال مراكش ، وهو استقلال يبيح لها بصفة خاصة جيشا وسلطة دبلوماسية ، كما تؤكد الحكومة الفرنسية عزمها على احترام وحدة الأراضى المراكشية التى تكفلها المعاهدات الدولية .

وان حكومة الجمهورية الفرنسية وجلالة السلطان محمد الخامس يعلنان أن المفاوضات التى افتتحت بين مراكش وفرنسا فى باريس أخيرا ـ وهما دولتان متساويتان وتتمتع كلتاهما بالسيادة ـ تهدف إلى عقد اتفاقات جديدة لتحديد العلاقات بينهما فى مجال مصالحهما المشتركة وتنظيم التعاون على أساس من الحرية والمساواة ، وبخاصة فيما يتعلق بشئون الدفاع والعلاقات الخارجية والمسائل الاقتصادية والثقافية ، وكذلك ضمان حقوق وحريات الفرنسيين المقيمين فى مراكش والمراكشيين المقيمين فى فرنسا، مع احترام سيادة الدولتين فى هذا الشأن ، وتجتمع فى ١٢ مارس فى الرباط لجنة فنية للبحث فى تأليف الجيش المراكشى المستقل . كما تجتمع لجنة أخرى يوم ١٠ مارس لتحويل السلطات من أيدى الفرنسيين إلى الحكومة المراكشية » .

جمهورية باكستان الاسلامية

قررت الجمعية التأسيسية الباكستانية أن يكون اسم دولة باكستان (جمهورية باكستان الإسلامية) .

بنك الجمهورية

وافق مجلس الوزراء المصرى على قرار بتأسيس شركة مساهمة مصرية باسم (بنك الجمهورية) وحدد رأس ماله بمليون جنيه قسمت على ٥٠٠ ألف سهم قيمة كل سهم جنيهان . وقد اكتتبت الحكومة المصرية بمبلغ ربع مليون جنيه ، وصندوق توفير البريد بـ ٢٥ ألف جنيه ، ومصلحة صناديق التأمين والادخار الحكومية بـ ٦٠ ألف جنيه ، ووزارة الأوقاف بـ ٣٠ ألف جنيه ، والمجلس الدائم للخدمات العامة بألفى جنيه ، وهيئة التحرير بألفى جنيه ، وصندوق التأمين الخاص بضباط القوات المسلحة بثمانية آلاف جنيه ، ونقابة عمال ومستخدمى بنك التسليف التعاونى بـ ٢٥ ألف جنيه ، ونقابة المحامين بـ ٤٠ ألف جنيه ، ونقابة عمال القاهرة

مكتبتنا العربية

بعشرة آلاف جنيه ، كما اشتركت نقابات وهيئات أخرى بمبالغ مختلفة وخصص الباقى من الأسهم لأفراد الشعب . ويقول السيد أحمد عبدالله طعيمة المراقب العام للاتحادات والنقابات بهيئة التحرير العليا : إن هذا البنك الذى يملكه الشعب هو الطريق إلى تحطيم الاستبداد الاقتصادى والظلم الاجتماعى وانخفاض مستوى المعيشة .

المرحلة الاخيرة للجلاء

انتهت المرحلة الرابعة من مراحل الجلاء وبدأت المرحلة الأخيرة منه ولم يبق فى قاعدة القنال إلا قوات تقل عن عشرة آلاف جندى ، وكان المقدر لها فى هذه المرحلة أن تكون ضعف هذا العدد .

وفى يوم ١٨ يونيه القادم يجلو آخر جندى بريطانى عن الأرض المصرية إن شاء الله .

المعمل الذرى المصرى

تحدث سفير روسيا فى مصر إلى الصحفيين فى أواسط رجب الماضى فقال عن المعمل الذرى الذى اتفقت مصر مع روسيا على إنشائه فى مصر : إن هذا المعمل يعتبر مهما جدا بالنسبة لمصر ، إذ أنه سيحدث فيها ثورة إنتاجية وعمرانية ضخمة ، وسيحيل الصحراء إلى أراض زراعيه ، ويستغل فى جميع المشروعات التى تهم البلاد .

السد العالى

أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم

السد العالى مشروع متعدد الأغراض للرى وانتاج القوى الكهربائية والسيطرة على مياه الفيضان . فهو يتحكم تحكما تاما فى نهر النيل لتحقيق هذه الأغراض المفيدة .

وقد أثنى عليه الخبراء الماليون والفنيون الذين أوضحوا أن الفوائد السنوية التى ستجنى منه تزيد عدة مرات عن النفقات التى يتكلفها سنويا .

وهذا المشروع من حيث ضخامته يعتبر أكبر مشروع بنائى فى تاريخ العالم . وسيكون قوامه من الصخر ، ويبلغ طوله نحو ثلاثة أميال ، وارتفاعه ما لا يقل عن أربعمائة قدم ، واتساع قاعدته أربعة آلاف وخمسمائة قدم .

وسيكون هذا السد بمثابة أعظم خزان صناعى فى العالم ، ويستطيع تخزين ما يوازى ثلاثة أضعاف مخزون المياه خلف خزان (بولدر) فى الولايات المتحدة . وسيقوم السد العالى برى نحو مليون فدان فى مصر إلى جانب توليد قوى كهربائية تبلغ مليون كيلوات .

وان عملية تشييد السد العالى تنطوى على صعوبات فنية كبيرة ومسائل معقدة لم يسبق معالجتها ، ويقوم بدراسة هذه الصعوبات أعظم الخبراء فى العالم فى وقتنا هذا .

مكتبتنا العربية

قال مدير البنك الدولى : وإنى أعتقد أنه يجب توجيه الثناء إلى السيد رئيس وزراء مصر وإلى الحكومة المصرية لاتخاذهما القرار الخاص بتنفيذ هذا المشروع. فان هذا يدل على بعد نظر كبير، ومع أنه ستمضى عدة سنوات قبل الاستفادة منه فان فوائده ستكون عظيمة جدا فى المستقبل لشعب مصر ورفع مستوى معيشتهم. وإن البنك الدولى ليسعده أن تتاح له فرصة المساهمة فى مثل هذا المشروع العظيم .

مشاكل شمال افريقية

بيان مشترك من مصر وفرنسا

دارت اليوم الموافق ١٤ مارس سنة ١٩٥٦ بالقاهرة محادثات بين السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد وزير خارجية فرنسا عرض أثناءها وزير الخارجية الفرنسية على السيد جمال عبد الناصر والسيد وزير الخارجية المصرية ، وجهة نظر حكومته وأهدافها الخاصة بمسائل شمال إفريقيا ، وكذلك أشار إلى القلق الذى يساور البرلمان الفرنسى والرأى العام فى فرنسا تجاه هذه المشاكل .

وقد أبدى الرئيس جمال عبد الناصر اهتمامه بالأمر ، كما أبدى استعداد الحكومة المصرية للمعاونة فى جميع الجهود التى تبذل لإيجاد حل سلمى لهذه المشاكل على أساس الأمانى والرغبات التى تبديها شعوب شمال افريقيا فى حرية تامة ...

حديث جمال عبد الناصر

عن الخطر الذى يتهدد العرب

أدلى الرئيس جمال عبد الناصر بحديث له بالتلفزيون مع ادوار مورو مراسل إذاعة كولومبيا الامريكية فقال جوابا على سؤال بشأن روسيا :

إنك تتحدث الآن عن خطر لا نشعر به وهو روسيا والعدوان أو التحكم الروسى ، ولكننا نرغب فى التخلص أولا من جميع الأخطار التى تواجهنا من الاستعمار والتحكم الغربى ووجه الرئيس جمال عبد الناصر اللوم إلى الولايات المتحدة لتأييدها حلفاءها الغربيين ضد الامانى القومية للشعوب التى يستعمرها الغرب ، وقال : إنكم تحالفون بريطانيا وفرنسا وتؤيدونهما ، ونحن نشعر فى بعض الأحيان أنكم تتجاهلون أمانينا لإرضاء حلفائكم .

وقال عن إسرائيل : إن إسرائيل تعتبر بمثابة خطر يهدد العالم العربى ، ونددبالبيان الثلاثى الصادر سنة ١٩٥٠ لضمان خطوط الهدنة فوصف ذلك البيان بأنه نوع من التدخل والسيطرة . وإذا كان من الممكن اتخاذ أى إجراء للاحتفاظ بالسلام فى منطقة الشرق الأوسط فيجب أن تقوم بذلك الأمم المتحدة بنفسها .

ثم قال : علينا أن ندافع عن أنفسنا ضد أى عدوان ، وليس من العدل أن يقال عن الذين يريدون أن يدافعوا عن أنفسهم أنهم يريدون إثارة المشاكل .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضوع	بقلم
	الاسراء . . والمعراج	السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر . . . . .
٨٢٥	تطور المجتمع المصرى : بين الامس واليوم والغد	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٨٣٠	نفحات القرآن : دعائم المجتمع الصالح . . .	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٨٣٧	السنة : سيد الازواج	« طه محمد الساكت . . . . .
٨٤١	الاله والوجوديون ـ ٣ ـ	« محمد البهبيتى عضو جماعة كبار العلماء
٨٤٥	كيف نتعلم من الحياة ؟	« أحمد الشرباصى المدرس بالازهر . .
٨٤٩	الوحدة الاسلامية وعوامل الضعف فيها . .	« محمد فهمى عبد اللطيف . . . .
٨٥٦	المقاد فى الميزان	« محمود النواوى . . . . .
٨٦٤	أصول الاسلام والتقريب بين الامم . . .	« عباس طه المحامى . . . . .
٨٦٩	الاسلام ينهض بالمرأة	« زكريا البرى . . . . .
٨٧٣	الامهات	« الاكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الازهر . . . . .
٨٧٦	بنو إسرائيل فى الماضى والحاضر ـ ٣ ـ . .	« محمد محمد أبو شهبة الاستاذ بكلية أصول الدين
٨٨١	الجسد والاثرة	« محمد سعاد جلال . . . . .
٨٨٤	حكم المرتد فى الشريعة الاسلامية	« عيسى منون شيخ كلية الشريعة السابق
٨٩٣	بحوث فى الحضارة ـ ٢ ـ	« عيسوى أحمد عيسوى المدرس بكلية الحقوق
٩٠٤	بحوث فى مصادر الشريعة النظرية ـ ١ ـ .	« زكى الدين شعبان « « «
٩١٠	عيد الأم	« محمد صالح لريدى . . . . .
٩١١	الازهر والازهر وحده	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٩١٤	شباب الحرس الوطنى	« ناصف سليم . . . . .
٩١٦	لغويات	« محمد على النجار . . . . .
٩٢٠	تعليقات (الصحف المنحرفة)	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٩٢١	الكتب	المجلة . . . . .
٩٢٦	الادب والعلوم	« . . . . .
٩٢٨	أبناء العالم الاسلامى	« . . . . .